تأملات

في سورتي النور والحجرات

تفريغ سلسلة دروس دعوية للشيخ المجاهد

خالد باطرفي





1442 هـ 2021 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

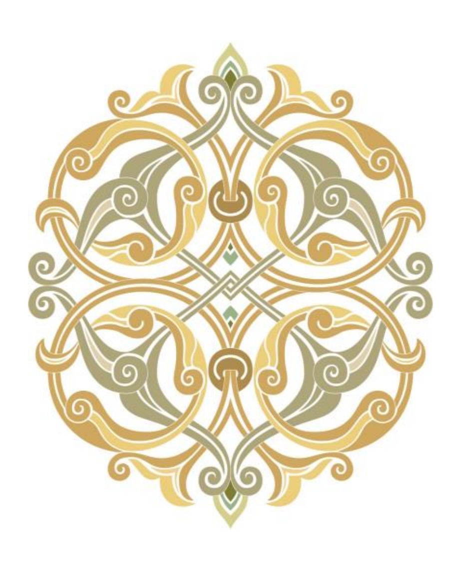
بيت المقدس

تأملات

في سورتي النور والحجرات

تفريغ سلسلة دروس دعوية للشيخ المجاهد

خالد باطرفي (حفظه الله)



بيت المقدس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا)

(النور: 82)

مقدمة الناشر

نجمع في هذا الكتاب تفريغ سلسة الدروس الدعوية التي ألقاها الشيخ المجاهد خالد باطرفي -حفظه الله- خلال شهر رمضان لعام 1441هـ، بعنوان "تأملات في سورتي النور والحجرات".

ولأنه سبيل دعوة وجهاد يُولي قادة الجهاد ومشايخه اهتمامًا كبيرًا بوصال أمتهم عن طريق الدروس الدعوية والمواعظ، ذلك أن عبادة الجهاد لا تستقيم حتى يستقيم العبد على طريق التقوى والمجاهدة كما أمر الله سبحانه.

ففي هذا الجمع المبارك تظهر لنا أهمية تدبر القرآن لعلاج القلوب وضبط السلوك بما ينعكس على العلاقات والمجتمعات بخير نموذج لصناعة المسلم التقيّ.

نسأل الله أن يبارك في جهود الشيخ الأمير المجاهد، وأن يجزيه عن أمته خير الجزاء.
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

بيت المقدس

الدرس الأول (المقدمة)

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمَّد عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمة ونصح للأمة وكشف الله به الغمة، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، فجزاه الله خير ما جزا نبيا عن أمته، أما بعد:

في هذه الدروس سيكون عندنا تأملات في سورتي النور والحجرات، وسبب اختيارنا لهاتين السورتين، هو أنهما من الصور التي تكثر فيها التوجيهات والآداب والتربية. وكيفية تعامل المسلم مع الأحداث والفتن والابتلاءات.

وأيضا هي تحذر من كثير من الأفعال، التي لا تليق بالمؤمن، والتي تنقص من كمال إيمانه أو تجعله في زمرة المخالفين.

وفيها أيضا من البشارات، فيها البشارة للمؤمنين بالتمكين والأمن.

وكذلك من أسباب اختيارنا لهاتين السورتين. أو سيكون دروسنا في هاتين السورتين، فيما يتعلق بواقعنا، يعني سنأخذ من هاتين السورتين، الآيات التي تتعلق

بواقعنا، وتتكلم في كثير من الأحداث التي نعاصرها في هذا الزمان، فيها حلول، فيها تربية، فيها توجيه، فنسأل الله العظيم أن يوفقنا لذلك.

الهدف من دروسنا هذه أن نرتقي بالمؤمن إلى معالي الأمور والأخلاق، ونوجهه إلى معرفة كيفية التعامل الفقهي مع تغير الأحداث والمواقف.

وأما السورتين، وكما قيل لي من قبل، أن سورتي النور والحجرات، هما سورتي الآداب، سورة النور سورة الآداب الكبرى، وسورة الحجرات سورة الآداب الصغرى.

سورة النور تبدأ في مطلعها بقوله تعالى (**سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون**) (**النور: 1**).

فبدأ الله سبحانه وتعالى هذه السورة ببيان وضعها، ببيان ما فيها، من تعاليم وآيات بينات، لعلنا أن نتذكر وأن نتفكر فيها.

هذه السورة سورة الآداب والأخلاق والتربية الإسلامية الهادفة، إنها الأخلاق والقيم المنبعثة عن إيمان المؤمن بالله، فإذا دخل نور الإيمان في القلب اتسع له الصدر، وانشرح له الفؤاد، قال سيد قطب رحمه الله: "هذه سورة يذكر فيها النور بلفظه متصلا بذات الله، (**اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْض**)، ويذكر فيها النور بآثاره ومظاهره في القلوب والأورواح، ممثلة (هذه الآثار) في الآداب والأخلاق التي يقوم عليها بناء هذه السورة، وهي آداب وأخلاق نفسية وعائلية وجماعية، تنير القلب

وتنير الحياة، ويربطها بذلك النور الكوني الشامل، أنها نور في الأرواح وإشراق في القلوب وشفافية في الضمائر مستمدة كلها من ذلك النور الكبير" انتهى.

فهذه سورة النور وما فيها من آيات موضحة الآداب والأخلاق التي ينبغي على المؤمن أن يتخلق بها في مختلف الظروف والمواقف.

أما سورة الحجرات فابتدأها ربنا سبحانه وتعالى بقوله (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) (**الحجرات:1**).

ففيها تربية للمؤمن في كيفية التعامل مع الله ورسوله ﷺ ثم يأتي في أثنائها ما فيها من تعالم المؤمن مع إخوانه المؤمنين في حال السلم وفي حال الحرب.

قال الفيروز أبادي –رحمه الله–: "معظم مقصود سورة الحجرات ما يأتي:

المحافظة على أمر الحق تعالى.

ومرعاة حرمة الأكابر.

والتأدة في الأمور واجتناب التهور.

والنجدة في إغاثة المظلوم.

والاحتراز عن السخرية بالخلق والحذر عن التجسس والغيبة وترك الفخر بالأحساب والأنساب والتحاشي عن المنة على الله بالطاعة".

وإن شاء الله تعالى سنأتي على هذه الآيات مفصلة بإذن الله ونذكر فيها تأملاتنا ونسأل الله أن ينفع بها.

يقول الدكتور وسيم فتح الله كذلك في سورة الحجرات:" وإن المتأمل في مضمون هذه السورة يجدها تتناول الكثير من الضوابط والآداب التي تحكم سير المجتمع الإسلامي بما يضمن له الانضباط والانقياد بإمرة هذا الدين العظيم ويجدها ترتقي بالمجتمع الإسلامي وأفراده إلى آفاق خلقية سامية". انتهى.

وكل ما سيذكر في تأملاتنا في هاتين السورتين، نجمله فيما يتعلق بمكارم الأخلاق، وتفاوت الناس فيها وفقه الدين ومنازل التفقه عند الناس.

وقد جاءت أحاديث عن رسول الله ﷺ ترغب في هذين الأمرين، الذي هما: مكارم الأخلاق، والتفقه في الدين، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:"ما من شيئ في الميزان أثقل من حسن الخلق"، أثقل ما يكون في الميزان حسن الخلق.

الإنسان المؤمن إذا تخلّق بالأخلاق الحسنة سيكون ميزانه يوم القيامة عندما يوضع الميزان على رؤوس الخلائق سيكون ميزانه أثقل الموازين.

وعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه- قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا وكان يقول "خياركم أحاسنكم أخلاقًا". خيار المؤمنين، خيار المسلمين أصحاب الخلق الحسن.

وعن عمر بن شعيب، عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول: "ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة" أحبهم إلى من؟ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقربهم منه منزلة يوم القيامة ومجلسًا. من هذا يا رسول الله؟ فسكت القوم، فأعادها مرتين أو ثلاثة، قال القوم: نعم يا رسول الله، قال:

"أحسنكم خلقًا" فأحسن الناس خلقًا هو أحبهم إلى رسول الله ﷺ وأقربهم منه مجلسًا يوم القيامة.

نسأل الله أن نكون من أصحاب الخلق الحسن لنكون من أحباب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن المقربين إليه يوم القيامة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق".

مبعث النبي ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق، وصالح الأخلاق، لذلك نجد بعض الأخلاق الحسنة التي كانت عند المشركين في الجاهلية، أقرها الإسلام وأبقاها كالكرم والشجاعة والوفاء بالعهد وغير ذلك من الأخلاق.

أما فيما يتعلق بالفقه في الدين.

عن يزيد بن الأصم قال سمعت عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، ذكر حديثا رواه عن النبي ﷺ لم أسمعه روى عن النبي ﷺ على منبره حديثًا غيره، قال: قال رسول الله ﷺ: "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوئهم إلى يوم القيامة".

والحديث في البخاري، فلنتأمل دلالة هذا الحديث، على علاقة الفقه في الدين بالجهاد في سبيل الله على بصيرة، على حق.

إذن إذا أردنا جهادًا في سبيل الله على بصيرة يوصلنا إلى المقاصد السامية من هذا الجهاد فلابد أن نتفقه في الدين، أما المقاتل الذي لا يتفقه في الدين ويجاهد أو يقاتل على غير فقه وعلى جهل فقد يصبح يومًا من الأيام قاطعًا للطريق وهو لا

يـدري، وقـد يفعـل مـن الأشـياء الـتي يظـن أنهـا تصـب في مصـلحة الإسـلام وفي مصلحة الجهاد وهو لا يدري ولكن هل هو معذور؟ لا ليس معذورًا، لماذا؟ لأنه لم يتفقه في الدين، وأيضا في الحديث دلالة على فضل المتفقه على غير المتفقه، بقوله عليه الصلاة والسلام "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين" فالفقه في الدين فضل من الله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء نسأل الله من فضله.

وقال ابن عباس ﵄ في قوله تعالى (**كُونُوا رَبَانِيِينَ**) قال: علماء فقهاء، ويقال "الرباني" الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره. فنسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يفقهنا في الدين وأن يرزقنا حسن الخلق وأن يجعلنا من عباد الله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدرس الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد فهذا الدرس الأول من دروس تأملاتنا في سورتي النور والحجرات، نبدأ بقوله تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ**) (**النور: 11**).

وما نريد أن نتأمل فيه في هذه الآية هو الجزء في قوله تعالى (لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم) هذه الآية نزلت في حادثة الإفك التي كانت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، عندما تكلم المنافقون في عرض النبي ﷺ، في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وفي الصحابي الجليل صفوان بن المعطل رضي الله عنه، وانقطع الوحي لمدة شهر كامل، لم ينزل على رسول الله ﷺ وحيًا في ذلك.

وتزلزلت المدينة زلزلة لم تتزلزل من قبل، وخاض هؤلاء المجرمون في عرض رسول الله ﷺ وفي بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وأصبح الأمر شديدًا، حتى أنه وقع بعض المؤمنين الصادقين في الكلام في هذا الأمر ومع ذلك يقول الله سبحانه وتعالى (**لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**).

يقول أبو بكر بن العربي -رحمه الله-: "وحقيقة الشر ما زاد ضره عن منفعه وأن خيرا لا شر فيه هو الجنة، وشرا لا خير فيه هو جهنم، ولهذا صار البلاء النازل على الأولياء خيرا لأن ضرره من الألم قليل في الدنيا وخيره هو الثواب كثير في الآخرة". انتهى.

وقال القشيبي -رحمه الله-: "بيّن الله سبحانه وتعالى أنه لا يخلى أحد من المحنة والبلاء في المحبة والولاء، فالامتحان من أقوى أركانه وأعظم برهانه وأصدق بيانه كذلك قال ﷺ (يمتحن الرجل على قدر إيمانه) وقال (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل) " انتهى.

فإذن أحبتي في الله، ما يحدث للمؤمنين وما يحدث للمؤمن من بلاء، إنما يكون خير وهذا لا يكون لأحد إلا للمؤمن، إلا للمؤمن الصالح، كما قال عليه الصلاة والسلام "عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن".

فالمؤمن وحده من يكون له البلاء وما ظاهره شر يكون لهذا المؤمن خير. وقد يكتب الله علينا بعض البلايا وبعض المحن وتكون لنا خيرًا بل قد يكتب الله ويفرض علينا بعض العبادات الشاقة على النفس التي يظن الناس أن فيها شرا عليهم ولكنها تكون فيها خير عظيم للمسلمين وللمؤمنين من ذلك يقول الله سبحانه وتعالى (**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**) (**البقرة: 216**).

القتال في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله، يظن كثير ممن لا يفقه حقيقة هذا الأمر، أن في ذلك شر وكره عليه، ولا يدري أن في ذلك حياة لهذا الدين وحياة لهذه الأمة، في الدنيا وفي الآخرة، فالله سبحانه وتعالى يقول **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) (الأنفال:24)** ففي الجهاد حياة كما قال ابن القيم الجوزية -رحمه الله -: "فالجهاد في سبيل الله - معنى كلامه رحمه الله- فالجهاد في سبيل الله حياة لهذه الأمة في الدنيا بظفرها على عدوها، وحياة لهم في البرزخ أحياء عند ربهم يرزقون، وحياة لهم في الآخرة بالنعيم المقيم الدائم في الجنة بإذن الله". فإذن لا يكون شر أبدا إنما هو خير، ويكون البلاء أو الفتن في أنصاف المسلمين لا يكون شرا محضا أبدا ولكن الواجب على المسلم أن يلتزم بالشرع في مواطن الفتن والابتلاءات فيفعل ما أمر به من أوامر الله ورسوله وينتهي عما نهي عنه من نواهي الله ورسوله ﷺ، وليعلم الجميع أن هذا الأمر الذي هو الصبر على ما يصيب المؤمن من بلايا وأحداث إنما هو يتعلق بعقيدة الإيمان بالقدر خيره وشره ونحن نعلم أن الإيمان بالقدر خيره وشره من أركان الإيمان والناس تتفاوت في ذلك فمنهم من يسلم ويرضى بكل ما يحدث له وهذا صاحب الإيمان القوي ومنهم من دون ذلك كلما ضعف الإيمان كلما كان الإيمان بالقدر خيره وشره أضعف، ولنعلم أن في وقوع البلاء والشدة على المسلم فوائد من هذه الفوائد معرفة الصادق من الكاذب، يقول الله سبحانه وتعالى **(الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) (العنكبوت: 1-3)**.

ففي البلاء تمييز ما بين الصادق والكاذب وأيضا يعرف المؤمن من المنافق، قال الله سبحانه وتعالى (**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ * وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ**) **(العنكبوت :10-11)**.

وأيضا من الفوائد إظهار فضيلة عباد الله الصادقين، من الأمثلة على ذلك أبو بكر الصديق ﵁ عندما توفي رسول الله ﷺ وارتدت العرب وحدثت زلزلة لم تحدث من قبل في ذلك الزمان فوقف هذا الجبل الأشم أمام هذه الفتنة وظهرت فضيلته ﵁ بوقوفه في وجه هذه الفتنة ووأدها في مهدها، كانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين فقط، فعل فيها ما لم يفعله كثير من الناس في سنوات عديدة، قاتل المرتدين، أنهى هذه الفتنة بدأت الفتوحات، أقام للإسلام قائمة أكمل بعده الصحابة ﵃ هذا المشوار.

ومن ذلك الإمام أحمد رحمه الله في فتنة خلق القرآن كيف أنه وقف ﵁ ورحمه الله في هذه الفتنة حتى كشفت وبقي الإسلام وبقي القرآن على ما جاء به رسول الله ﷺ حتى أن العلماء يقولون: موقفين في الإسلام لولاهما لأتانا الإسلام ناقصًا موقف أبي بكر الصديق ﵁ في حروب الردة وموقف الإمام أحمد في فتنة خلق القرآن. وأيضا جاء من بعدهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ووقف في فتنة التتار وتبديلهم لشرع الله وغيرهم الكثير ممن رفع الله ذكرهم، وأظهر فضيلتهم في هذه الدنيا.

أيضا من الفوائد فضح أهل النفاق والفساد وبيان شرهم وضررهم فكما جاء في حادثة الإفك كيف أن الله سبحانه وتعالى أظهر فضيلة الصالحين وأظهر إجرام هؤلاء المجرمين وكيف أنهم بلغوا من الخسة والدناءة أن يصلوا إلى بيت النبوة وبيت الصديق ﷺ.

وأيضا من الفوائد تمايز العلماء الربانيين وأتباعهم وعلماء السوء والهوى وأتباعهم.

فهذه فوائد عظيمة لم نحصر الفوائد في ذلك إنما أتينا ببعض الفوائد وإلا لو تفكر الإنسان في كل فتنة وفي كل بلاء ينزل على هذه الأمة لوجد من الفوائد الشيء الكثير الذي يكون بعده أمر في صالح المسلمين وخير عظيم يقع لهم.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن ييسر أمرنا وأن يجعلنا ممن يرضون بقضاء الله وقدره على كل حال، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدرس الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلًا، أما بعد:

في درسنا هذا، سنتكلم ونتأمل في قول الله سبحانه وتعالى، (**لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ**) (**النور:12**).

ومثلها في سورة الحجرات (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (12)**).

وسنأتي على هذه الآية بإذن الله تعالى في سورة الحجرات، ذكرناها لأنها متشابهة في المعنى.

قال البغوي -رحمه الله-:" قوله عزّ وجل (لولا) هلّا، (إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم)، يعني بإخوانهم خيرا، قال الحسن: لأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة". انتهى.

وقال السعدي -رحمه الله-: "أي ظن المؤمنين بعضهم ببعض خيرًا وهو السلامة مما رموا به وأن ما معهم من الإيمان المعلوم يدفع ما قيل فيهم من الإفك الباطل،

وقالوا بسبب ذلك الظن سبحانك أي تنزيها لك من كل سوء، وعن أن تبتلي أصفياءك بالأمور الشنيعة".

هذا إفك مبين، أي كذب وبهت، من أعظم الأشياء وأبينها، فهذا من الظن الواجب حين سماع المؤمن عن أخيه المؤمن مثل هذا الكلام.

أي يبرئه بلسانه ويكذب القائل بذلك.

فالأصل ظن الخير بالمؤمن، ونفي التهمة عنه، فإذا جاءت التهمة على أي مؤمن، ظاهرها الإيمان، فالأصل أن ننفي التهمة عليه، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى في هذه الآية على فعل أبي أيوب الأنصاري ﵁ وزوجه، عندما تكلم أهل الإفك في أم المؤمنين عائشة ﵂، والصحابي الجليل صفوان بن المعطل ﵁، فوصل الكلام إلى مسامع أبي أيوب الأنصاري وزوجه، فقال لها: يا أم أيوب، هل تفعلين هذا الفعل؟ قالت: لا والله، قال فإن عائشة خير منك، وهل تظني أن أفعل أنا هذا الفعل؟ قالت: لا والله، قال فصفوان بن المعطل خير مني، هذا إفك مبين، فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية تصديقا وتأييدا لكلام أبي أيوب ﵁، والأصل أن المؤمن إذا جاءت التهمة على أخيه المؤمن أن ينفيها وأن يردها، وأيضا الواجب إذا رأى مسلم على أخيه المسلم أمرا مخلا أن ينصحه ويستر عليه، هذا الأصل في بداية الأمر، أن ينصحه ويستر عليه، لقول النبي ﷺ "من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم، كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته".

وقال أيضا "ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة"، وقال عليه الصلاة والسلام "لا يستر عبد عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة".

فالأصل أن نستر على إخواننا المسلمين وأن ننصحهم ونتخولهم بالموعظة، إلا إن كان هناك ضررًا متعديًا على المؤمنين فلابد من البيان، كما في حق الجاسوس والمنافق، هذين الصنفين شرهما عظيم على المسلمين وضررهما متعدي، فلابد من الأخذ على أيديهم.

وأيضا المخذّل والمرجف والمفسد الذين لا يكفون عن التخذيل والإرجاف والإفساد، بعد النصح والتبيين لهم عظم فعلهم، فإذا رأينا مخذّلًا أو مرجفًا أو مفسدًا، فالأصل أن ننصحه في بداية الأمر، فإذا لم ينته عن هذا الفعل، فلابد من التعامل معه التعامل الشرعي، فهذا المخذّل والمرجف لابد من إخراجه من الصف، وأما المفسد فلابد من إقامة حد الله عليه.

وإذا جاء الحديث على المؤمن، وكانت هناك بينة فهنا لابد من أخذ، هذا إذا وصل إلى عند القاضي أو إذا تكلم أحد في حق أحد من الناس وقع في شرك الجاسوسية أو في شرك النفاق، فلابد من وجود البيّنة، فإذا وجدت البينة فلابد أن يؤخذ، لذلك بعد هذه الآية قال الله سبحانه وتعالى **(لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ) (النور:13)** فلابد من البينة.

وطبعًا الأربع شهداء في حالة الزنا.

أما في غيره فبحسب، فقد يكتفى بالشاهدين، وقد يكتفى بالثلاثة، وقد يكتفى بالشاهد واليمين، وقد يكتفى بالقرائن التي ترقى إلى حد البينة، وهكذا، المهم أنه لا يحل لمسلم أن يتهم أخاه المسلم إلا ببينه واضحة، هذا التوجيه الشرعي في مثل هذه الحالة، وأيضا فلنحذر كل الحذر ممن ينقل الكلام دون إثبات، وقد يكون هذا الشخص إما مخذل أو مدسوس، منافق مدسوس، كما فعل المنافقون في بث الإفك بين المسلمين في زمن النبي ﷺ على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وعلى صفوان بن المعطل رضي الله عنه فكانوا يبثون هذا الأمر حتى وقع في قلوب بعض الصادقين من المؤمنين.

فلابد مباشرة إذا رأينا هذا الصنف، أن نحذر منه وأن نحذّره، فإن لم ينته عن ذلك فلنحذر منه.

وإن نقل الكلام وتداوله بين الناس دون بينة وبثه في كل مكان ولكل أحد، أمره عظيم عند الله سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى بعد ذلك يقول **(لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (13)وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (14)إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15) (النور).**

الحديث في المؤمن أمره عظيم، الوقوع في عرض المسلمين أمره عظيم، يستهين به الجاهل الذي لا يفهم في دين الله شيء، فلابد أن ننتبه لهذا الأمر الشديد العظيم عند الله تعالى ولنحذر منه ولنحذّر إخواننا وننصحهم إذا وقعوا في مثله.

ومع وجود البينة، فالأصل ألا يذكر ذلك إلا لمن هو معني بتغيير هذا المنكر، كالأمير والمسئول المباشر وصاحب الحسبة، وغيرهم، إلخ.

لقوله تعالى **(وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) (النساء: 83).**

فإذا حصل الأمر هذا خلاص، وصلت عندك البينة أن الشخص هذا وقع في أمر مخالف فلابد ألا تذهب وتنشر الكلام عند كل أحد، بل تذهب إلى المسئول المباشر، صاحب الحسبة، الأمير المباشر، تذهب وتخبره بما رأيت وما سمعت، وتظهر له البينة، حتى يغير هذا المنكر.

فإذن لو رتبنا الأمر في هذه المسألة الأصل أن نظن الخير به وأن ننفي التهمة عنه، إذا كان هناك كلام فلنسأل عن البينة ولنتحقق منها، فإذا وجدت البينة فإذا كان الأمر غير متعديا ضرره على المسلمين فلننصح هذا الشخص الذي وقع في هذا الجرم أو هذا الخطأ حتى ينتهي، فإن لم ينتهي فلنرفع أمره إلى من يهمه الأمر، حتى يتعامل معه، وإذا وقع الأمر وتبيّنا من البيّنة فلنخبر من يستطيع أن يغير هذا الأمر. هذا هو الإصلاح.

أما أن ننشر الكلام عند كل أحد وفي كل مجلس هذا من الإفساد وليس من الصواب في شيء.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يجعل صدورنا سليمة على إخواننا المؤمنين، وأن يوفقنا لتغيير المنكر إذا وقع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَّد عبده ورسوله، أما بعد:

في درسنا هذا سنتكلم عن قول الله سبحانه وتعالى (**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**) (**النور: 19**).

قال ابن عاشور -رحمه الله-: "وجعل الوعيد على المحبة لشيوع الفاحشة في المؤمنين، تنبيها على أن محبة ذلك تستحق العقوبة، لأن محبة ذلك دالة على خبث النية نحو المؤمنين ومن شأن تلك الطوية ألا يلبث صاحبها إلا يسيرًا حتى يصدر عنه ما هو محب له، أو يُسرّ بصدور ذلك من غيره، فالمحبة هنا كناية عن التهيأ لإبراز ما يحب وقوعه". انتهى.

وقال الشوكاني – رحمه الله – : "أي يحبون أن تفشوا الفاحشة وتنتشر من قولهم شاع الشيء .. يشيع .. شيوعًا، وشيعًا وشيعانًا، إذا ظهر وانتشر، والمراد بالذين آمنوا، المحصنون العفيفون أو كل من اتصف بصفة الإيمان. والفاحشة هي فاحشة

الزنا أو القول السيء، لهم عذاب أليم في الدنيا بإقامة الحد عليهم والآخرة بعذاب النار". انتهى.

فإذن مجرد أن يحب الشخص أن تشيع الفاحشة دون أن يقوم بذلك، هذا أمره عظيم، وتوعد الله سبحانه وتعالى عليه بالعذاب في الدنيا والآخرة.

فإذا كان الكلام في من يشيع قذف المحصنين والمحصنات من المؤمنين فكيف بمن ينشر ذلك عبر إشاعته بحفلات الرقص والغناء والعري، والأعظم أن يكون لذلك مؤسسات حكومية تقوم بذلك تحت مسمى الترفيه والسعادة، كما يحدث الآن في بلاد الحرمين والإمارات وفي غيرها من قبل.

وينظم لهذا العهر والسفور تنظيمًا عالي المستوى ويدعم دعمًا سخيًا لتشيع الفاحشة وتستساغ في مجتمعات كان الغرب الكافر يحلم أن يحدث عشر من عشار ما يفعله هؤلاء المجرمون الفجرة المتغربون.

والعجب، العجب! من السكوت المطبق من كثير ممن ينتسبون إلى دين الإسلام، دين العفة، دين الطهر، دين الأخلاق، بل الأعجب من ذلك، أن يسكت على هذا المنكر من ينتسبون إلى الدعوة والعلم وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الواجب على المؤمنين في مثل هذه الحالات أن ينتفضوا انتفاضة لدين الله سبحانه وتعالى، وأن يقوموا على مثل هؤلاء، ونشكر كثيرًا كل من قام بذلك من المسلمين، قام بإنكار هذا المنكر، وندعو له بالتوفيق والسداد، وأن يحفظه الله من كيد هؤلاء الزنادقة المجرمون، الذين أرادوا أن تشيع الفاحشة في مجتمعات المسلمين

في المجتمعات العفيفة الطاهر، في من يستخدمون كل الوسائل القذرة من أجل أن تنسلخ هذه المجتمعات عن دينها وعن عفتها وعن طهرها وعن أخلاقها التي جاء بها هذا الدين العظيم.

الواجب على كل مسلم أن ينكر مثل هذه الممارسات بكل ما يستطيع من مراتب الإنكار الثلاث، يقول النبي ﷺ : "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان".

المؤمن القوي هو الذي يغير هذا المنكر بما يستطيع من يده أو لسانه فإذا ضعف إيمانه فلينكر بقلبه فكيف بمن يحضر مثل هذه الحفلات الراقصة والماجنة وما فيها من اختلاط وهو يشار له بالبنان أو يكون ممن ينتسب للعلم والدعوة أو يسوّغ هذا الفعل بتغريداته أو بأقواله أو بمدحه لهذه الهيئات وهذه المؤسسات الخبيثة التي تنشر العهر والفساد.

وعلى كل مسلم أن ينتبه أن يوافق على مثل هذه الأشياء، عليكم أحبتي في الله أن تفهموا أن هذا الأمر إذا انتشر لن يترك صالحًا دون طالح كما قال الله سبحانه وتعالى (**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**) (**الأنفال: 25**).

فالعقاب إذا جاء، سيأتي على الجميع، إذا سكتنا على هذا المنكر، فسيأتي العقاب على الجميع، وكما قال الله سبحانه وتعالى (**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ**

وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) (هود: 116–117).

فلابد من الإصلاح ولابد من إنكار المنكر، نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يوفقنا لإنكار هذا المنكر وأن يعيننا على إزالته وأن يجعل في ذلك طهارة لهذه الأمة من رجس هؤلاء المجرمين المتغربين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدرس الخامس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

في درسنا هذا سنتأمل في قول الله سبحانه وتعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) (**النور: 21**).

قال ابن عطية – رحمه الله- : "هذا الخطاب عام لجميع المؤمنين، وخطوات جمع خطوة، وهي ما بين القدمين في المشي، فكأن المعنى لا تمشوا في سبله وطرقه من الأفعال الخبيثة .. إلى أن قال .. (ما زكى) بتخفيف الكاف، أي ما اهتدى وما أسلم، ولا عرف رشده .. إلى أن قال: ثم ذكر الله تعالى أنه يزكي من يشاء ممن سبقت له السعادة وكان عمله الصالح أمارة على سبق السعادة له". انتهى.

وقال ابن كثير – رحمه الله-: "يعني طرائقه ومسالكه وما يأمر به، ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر، هذا تنفير وتحذير من ذلك بأفصح العبارة وأوجزها وأبلغها وأحسنها .. إلى أن قال: ثم قال تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدًا) أي لولا هو يرزق من يشاء التوبة

والرجوع إليه، ويزكي النفوس من شركها وفجورها ودسّها وما فيها من أخلاق رديئة، كل بحسبه، لما حصل أحد لنفسه زكاة ولاخيرًا ولكن الله يزكي من يشاء، أي من خلقه، ويضل من يشاء، ويرديه في مهالك الضلال والغيّ".انتهى.

في هذه الآية أحبتي في الله، تحذير من اتباع خطوات الشيطان، في كل باب من أبواب الدين والدنيا، فإن الإنسان إذا استمع للشيطان وخطا معه الخطوة الأولى، فقد تأتي بعد هذه الخطوة خطوات، إلى أن يوصله إلى جهنم أعاذنا الله وإياكم منها، ومثل هذه الآية قوله تعالى (**يـأَيُّهَا النّاس كُلُواْ مِمَّا فِي الأرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خطوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**) (**البقرة: 168– 169**).

فإن الإنسان لولا أن الله سبحانه وتعالى يزكيه ولولا أنه يعتصم بالله سبحانه وتعالى ويرجع إلى الله سبحانه وتعالى ما زكى أبدًا ولا عرف رشدًا ولا عرف هدًى فلابد على الإنسان أن يعلم ضعفه وافتقاره لله سبحانه وتعالى في كل أحواله، وعليه إذا وقع في ذنب عليه بالتوبة والرجوع إلى الله مباشرة وعدم الإصرار والتمادي في الغيّ حتى لا يقدر بعد ذلك ألا يعود إلا أن يشاء الله.

وقد قال الله سبحانه وتعالى (**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**) (**آل عمران: 135**).

فاحشة يعني كبيرة من الكبائر أو ظلموا أنفسهم بصغيرة من الصغائر.

فالمؤمن الحق إذا وقع في ذنب إذا وقع في معصية سواء كان ذلك بإرادته أي وهو يحب ذلك أو يريد الوقوع في هذا الذنب أو أن أحدًا أجبره على ذلك على الوقوع في هذا الذنب فعليه مباشرة إذا خرجت جميع إرادات البشر إلى إرادته وحده أن يخرج عن ذلك وأن يتوب إلى الله وأن يعود من ذنبه وأن يؤوب إلى الله سبحانه وتعالى ولو عظم ذنبه ولو فعل ما فعل، فعليه أن يعود وأن يعلم أن له ربًا يغفر الذنب وإن عظم، قال الله سبحانه وتعالى (**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**) (**الزمر: 53**).

جميع الذنوب.

الشرك إذا تاب الإنسان منه يغفر الله عز وجل له ذلك.

وقد رأينا في سيرة نبينا ﷺ كم من صحابي أصبح في الإسلام عظيمًا وذو شأن كان من قبل من المشركين وكان يعبد الأصنام وكان واقعًا في جميع الذنوب ومع ذلك أصبحوا قادة الأمة، أصبحوا قدواتنا، أصبح من لم يدع لهم ومن لم يعرف لهم حقهم وفضلهم أصبح من المخالفين، كما يقع في ذلك الرافضة قاتلهم الله، هؤلاء الذين كانوا في الشرك وفي الغيّ عندما جاءهم الهدى وجاءهم النذير والبشير آمنوا بالله سبحانه وتعالى وتابوا ورجعوا فكانوا قادة الأمة.

وفي هذا الزمان يكثر الوقوع في خطوات الشيطان في الأبواب العظيمة في هذا الدين، كباب الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتغيير الواقع الذي نحن نراه اليوم.

فيكثر اتباع خطوات الشيطان والتمادي في ترك هاتين الشعيرتين العظيمتين من شعائر الدين، والتي بها تحفظ كثير من أمور الدين والدنيا.

فالواجب على المسلم إذا وقع في شيء ودائمًا أن يراجع نفسه ويحاسبها على كل ما سبق وكل إنسان أعلم بنفسه وبما هو واقع فيه، وإن كان قد مشى خطوة أو أكثر في طريق الشيطان فليتوقف اليوم وليرجع إلى الله وليحاسب نفسه وليعود إلى رشده وليستأنف حياة الإيمان والتقوى والعمل الصالح وليعلم أن الموفق لذلك هو الله سبحانه وتعالى.

وقد يظن الإنسان أنه إذا وقع في هذه المعاصي وهذه الذنوب أنه يجد السعادة، قد يجد سعادة مؤقتة ولكن السعادة كل السعادة في العودة إلى الله والرجوع له، وأيضا فليعلم المؤمن أنه لولا فضل الله عليه ولولا معية الله معه أنه لن يتزكى ولن يعرف رشدًا ولن يعرف هدى.

قال الله سبحانه وتعالى (**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) (**النور:21**).

أسأل الله العظيم أن يزكي نفوسنا ويؤتيها تقواها إنه مولاها سبحانه وتعالى وأن يجعلنا من عباد الله الصالحين الذين إذا وقعوا في شيء من هذه الذنوب والمعاصي أن يعود إلى الله سبحانه وتعالى ونسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا دومًا للرشد والهدى إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين وصلى اللهم على نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السادس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

في درسنا هذا سنتكلم عن قول الله سبحانه وتعالى (**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) (**النور: 51**).

قال البغوي – رحمه الله-: "هذا ليس على طريق الخبر ولكنه تعليم أدب الشرع على معنى أن المؤمنين كذا ينبغي على أن يكونوا، ونصب القول على الخبر واسمه في قوله تعالى (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) يعني سمعنا الدعاء وأطعنا بالإجابة، وأولئك هم المفلحون". انتهى.

قال سيد قطب – رحمه الله- : "فهو السمع والطاعة بلا تردد ولا جدال ولا انحراف، السمع والطاعة المستمدان من الثقة المطلقة في أن حكم الله ورسوله هو الحكم وما عداه الهوى، النابعان من التسليم المطلق لله، واهب الحياة، المتصرف فيها كيف يشاء، ومن الاطمئنان إلى أن ما يشاؤه الله للناس خير مما يشاؤونه لأنفسهم، فالله الذي خلق أعلم بمن خلق". انتهى.

في هذه الآية يبيّن الله، الواجب على المؤمن الحق، إذا دعي لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن يستجيب ويذعن، ولا يتردد حتى ولو كان يعلم أن الحكم ضده، أو يخالف هواه، وكما قال الله تعالى (**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**) (**النساء: 65**).

فالواجب على المسلم أن يسلم تسليمًا كاملًا لحكم الله وإذا دعي إلى كتاب الله وإلى سنة نبيه ﷺ أن يستجيب للداعي ولا يتأخر ولو لحظة واحدة.

هذه الآية سبقها كيف فِعْل المنافقين إذا دعوا إلى الله ورسوله فقال الله سبحانه وتعالى قبل ذلك في فعل المنافقين (**وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**) (**النور: 47 – 50**).

هذا فعل المنافقين، المنافق إذا دعي إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم يعرض، إلا في حالة واحدة، إذا علم أن الحكم سيكون لصالحه، إذا كان الحكم لصالحه سيأتي وسيتحاكم لله ولرسوله، أما إذا كان يعلم وهو أصلا يعني غالبًا سيكون الحكم ضده فلذلك يعرض ويترك هذا الحكم، حكم الله ورسوله ﷺ.

ولنعلم أن طريق الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة بالرجوع إلى حكم الله ورسوله ﷺ في كل شؤون الحياة، يتبين لنا ذلك من قوله تعالى (**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) (**النور: 51**).

هؤلاء هم أهل الفلاح في الدنيا، ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقيه فؤلئك هم الفائزون في الآخرة بإذن الله تعالى، فلابد على المسلم أن يسعى لهذا الفلاح وهذا الفوز.

وعلى من يدعو اليوم للعودة إلى التحاكم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن يحكمها في طريقة دعوته، وعلى نفسه وعلى جماعته لا يقتصر أن يريد أن يحكم بحكم الله إذا حكم، لا، لابد من الوسيلة، الوسيلة أن تكون شرعية، أن تكون على ما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله سبحانه وتعالى.

فلا ينبغي لمن هذه دعوته، أن يخرج عنهما، ويدعو لهما، كمن يريد تحكيم الشرع عن طريق الديمقراطية الغربية.

كيف تحكّم شرع الله العظيم عن طريق الديمقراطية الغربية المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

أو من يزعم أنه يريد تحكيم الشريعة عن طريق موافقة الطواغيت والوقوف معهم ضد المسلمين والمجاهدين، أو يريد ذلك بترك الولاء والبراء والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتخطئة القائمين بها، إذا رأى أهل الجهاد

وأهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهل الولاء والبراء يخطّئهم زعمًا منه أنه يفعل ما فيه مصلحة للمسلمين وأنه يداهن الطواغيت حتى إذا تمكن حكّم شرع الله سبحانه وتعالى، وهذا من الباطل، لو كان رسول الله ﷺ وهو في حالة الاستضعاف في مكة يرى ذلك حقًا لاستجاب لدعوة عتبة بن ربيعة عندما جاءه وقال له إن أردت الحكم ملكناك، إن أردت المال أعطيناك منه ما شئت، إن أردت الزواج زوجناك أجمل نسائنا وإلى غير ذلك، فالنبي ﷺ رده، وقرأ عليه فواتح سورة فصلت، فذهب عتبة بن ربيعة وهو يعلم وعلى يقين أن ما جاء به محمّد ﷺ هو الحق، فرجع إلى قومه فقال لهم خلوا بينه وبين العرب، إلا أنهم أبوا، ولو تركوه لكان خيرًا لهم.

وكما قال الله تعالى في مثل من يقوم بذلك ويظن أنه على خير، أو يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، قال الله تعالى (**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (86)**) (**البقرة**).

فكيف يرجو النصر من هذا حاله.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم، أن يوفقنا لتحكيم شرع الله ولتحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في جميع شؤون حياتنا وفي كل أحوالنا إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدرس السابع

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، مباركًا عليه كما يحب الله ربنا ويرضى، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلًا.

في درسنا هذا سنتأمل في قول الله تعالى **(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (النور: 53)**.

قال السعدي – رحمه الله– : "يخبر تعالى عن حالة المتخلفين عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الجهاد من المنافقين، وممن في قلوبهم مرض وضعف إيمان، أنهم يقسمون بالله لئن أمرتهم فيما يُستقبل أو لئن نصصت عليهم حين خرجت ليخرجن، والمعنى الأول أولى، قال الله رادًا عليهم (قل لا تقسموا) أي لا نحتاج إلى إقسامكم ولا إلى أعذاركم فإن الله قد نبأنا من أخباركم، وطاعتكم معروفة لا تخفى علينا، قد كنا نعرف منكم التثاقل والكسل من غير عذر، فلا وجه لعذركم وقسمكم، إنما يحتاج إلى ذلك من كان أمره محتملًا وحاله مشتبهًا، فهذا ربما يفيده العذر براءة، وأما أنتم فكلا ولما وإنما ينتظر بكم ويخاف عليكم حلول بأس

الله ونقمته، ولهذا توعدهم بقوله (إن الله خبير بما تعملون) فيجازيكم عليها أتم الجزاء، هذه حالهم في نفس الأمر". انتهى.

هذه الآية تبين لنا دليل صدق الطاعة لله ورسوله الجهاد في سبيل الله، إذن الجهاد في سبيل الله، دليل صدق طاعة الله ورسوله ﷺ، كما قال الله تعالى (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**) (**الحجرات: 15**).

وسيأتي الحديث إن شاء الله عن هذه الآية في تأملاتنا في سورة الحجرات، فمن حاله التكاسل، والثقل عن الجهاد في سبيل الله بغير عذر شرعي، لا حاجة له للقسم أنه في حال دعي للجهاد أنه سيستجيب للداعي لأنه واقعه يشهد بكذبه، لأنه لو كان يريد الجهاد لأعد لذلك عدة، ومثل هؤلاء أصلا خروجهم وهم على هذا الحال فيه ضرر على الجهاد وأهله، قال الله تعالى (**وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**) (**التوبة: 46– 47**).

فانظر إلى ضررهم في الجهاد إذا خرجوا، إذا خرجوا للجهاد فضررهم عظيم، ويؤثرون على المجاهدين، ببث الإرجاف والتخذيل بينهم، فلذلك مثل هؤلاء بعدهم أولى، وأيضا يقول الله سبحانه وتعالى (**وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم**

مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ) (محمد: 20– 21).

قال ابن كثير – رحمه الله– :"ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة أي مشتملة على حكم القتال ولهذا قال (فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت) أي من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الأعداء، ثم قال مشجعًا لهم، (فأولى لهم * طاعة وقول معروف) أي وكان الأولى بهم أن يسمعوا ويطيعوا، أي في الحالة الراهنة فإذا عزم الأمر أي جد الحال وحضر القتال فلو صدقوا الله أي أخلصوا له النية لكان خيرًا لهم". انتهى.

فالذي يكون في حال الرخاء، ويزعم أنه إذا جاء وقت الجد وجاء وقت القتال وجاء وقت الجهاد أنه سيجاهد، فهذا زعمهم كاذب لأنه لم يعد العدة لذلك، ولم يتهيأ نفسيًا ولم يتهيأ واقعيًا لهذا الأمر.

أذكر قصة ذكرها لي بعض الإخوة في سجن المكلا، الذين هربوا من سجن المكلا، فجاء مجموعة من المشايخ، وأحدهم كان يقول للإخوة، كان يقول لهم، الجهاد إذا أردتم الجهاد، فإذا جاء وقت الجهاد سترون هذه العمائم البيضاء في أوائل الصفوف، فماذا حصل، – نسأل الله له الهداية– أنه لما جاء وقت الجهاد واجتاح الحوثي المناطق واحتل كثيرًا من البقاع من الأراضي والمدن، خرج هذا الرجل من اليمن بكاملها، ويزعم الآن أنه يطلب العلم أو ما إلى ذلك، فأين كلامه عندما كان يقول للإخوة في السجن ويناصحهم أن يتركوا طريق الجهاد وأن

يخرجوا من السجن بعد ذلك قاعدين متخلفين عن الجهاد، أين قوله: إذا جاء وقت الجهاد سترون هذه العمائم البيضاء في أوائل الصفوف.

فزعم هذا كاذب ولو أنه صدق الله لكان في أوائل الصفوف في مثل هذه الظروف التي تمر بها الأمة الإسلامية.

وكثير ممن يشار لهم بالبنان الأصل أنهم اليوم هم من يقودون المعارك في الشام وفي العراق وفي اليمن وفي غيرها من بقاع الأرض.

ونسأل الله العظيم أن يهدي مثل هؤلاء أو أن يكفينا شرهم، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير ونسأله تعالى ألا يجعلنا من هؤلاء وأن يثبتنا على طريق الإسلام والجهاد في سبيل الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدرس الثامن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّد عبده ورسوله، أما بعد:

في درسنا هذا سنتكلم ونتأمل في قول الله سبحانه وتعالى **(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور: 55)**.

قال القرطبي -رحمه الله-: "وقيل إن سبب هذه الآية أن بعض أصحاب النبي ﷺ، شكى جهد مكافحة العدو وما كانوا فيه من الخوف على أنفسهم وأنهم لا يضعون أسلحتهم، فنزلت الآية، وقال أبو العالية: مكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة عشر سنين بعدما أوحي إليه خائفًا هو وأصحابه يدعو إلى الله سرًا وجهرًا ثم أمر بالهجرة إلى المدينة وكانوا فيها خائفين يصبحون ويمسون في السلاح فقال رجل: يا رسول الله أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح؟ فقال عليه الصلاة والسلام : "لا تلبثون إلا يسيرًا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ

العظيم محتبيًا ليس عليه حديدة". ونزلت هذه الآية وأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فوضعوا السلاح وأمنوا". انتهى.

وقال الشيخ مُحَّد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: "ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هذه الأمة، ليستخلفنهم في الأرض، أي ليجعلنهم خلفاء الأرض الذين لهم السيطرة فيها ونفوذ الكلمة، والآيات تدل على أن طاعة الله بالإيمان به والعمل الصالح سبب للقوة والاستخلاف في الأرض ونفوذ الكلمة، إلى أن قال رحمه الله .. وقوله تعالى (ليستخلفنهم) اللام موطئة لقسم محذوف أي وعدهم الله وأقسم في وعده ليستخلفنهم". انتهى.

هذه الآية آية عظيمة وفيها طمأنة، لمن؟ لعباد الله المجاهدين لمن يسعون للتمكين لدين الله في الأرض، فطريق التمكين والاستخلاف في الأرض والأمن التام الشامل يكون بالإيمان والعمل الصالح، فعلى المسلم المجاهد أن يسعى بكمال إيمانه ويسعى للعمل الصالح.

في هذه الآية يطمئن الله سبحانه وتعالى المؤمنين الصالحين بالتمكين في الأرض، وأيضا يقول الله تعالى في آية أخرى (**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**) (**الأنبياء:105**) وجاء في سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأحاديث التي كذلك فيها طمأنة للمؤمنين للمجاهدين للعاملين بدين الله، أن الغلبة والعاقبة ستكون لهم، قال رسول الله ﷺ: "ليبغلن

هـذا الأمـر مـا بلـغ الليـل والنهـار ولا يـترك الله بيـت مـدر ولا وبـر إلا أدخلـه الله هـذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام وذلًا يذل الله به الكفر".

الله أكبر..

والله عنـدما نستشـعر قـول رسـول الله ﷺ هـذا، تهـون عنـدنا جميـع العقبـات في طريـق التمكـين لـدين الله، وإن لم نكـن نحـن أهـل التمكـين فلـنكن جسـرًا لهـذا التمكـين بإذن الله تعالى.

وقـال عليـه الصـلاة والسـلام: "بشـر هـذه الأمـة بالسـناء والـدين والرفعـة والنصـر والتمكين في الأرض".

فهـذه بشـارات رسـول الله ﷺ، والآيـة فيهـا وعـد مـن الله سـبحانه وتعـالى بالتمكـين، فالواجـب علـى المـؤمن المجاهـد العامـل لـدين الله أن يسـعى ويهـتم لتقويـة إيمانـة والإكثـار مـن العمـل الصـالح في طريـق التمكـين لـدين الله في الأرض، أمـا تحقيـق ذلـك هو وعد الله للمؤمنين ولن يخلف الله وعده.

فلنـنعم ولنطمـئن أن مـا نقـوم بـه ومـا نعمـل عليـه لـن يـذهب سـدًى أبـدًا وسـيأتي التمكين وسيأتي النصر على رغم أنف أعداء الله.

وبـيّن الله سـبحانه وتعـالى في هـذه الآيـة الوظيفـة الملقـاة علـى عـاتق المـؤمنين بعـد التمـيكن وهـي تحقيـق التوحيـد لـه ونبـذ الشـرك والتنديـد وذلـك في قولـه تعـالى (**يَعْبُـدُونَنِي لَا يُشْـرِكُونَ بِي شَـيْئًا**) ومثـل ذلـك قولـه تعـالى (**الَّـذِينَ إِن مَّكَّنَّـاهُمْ فِي**

الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (الحج: 41).

أما من ينكث عهده بعد التمكين ويبدّل وينكص على عقبيه ويكفر بنعمة الأمن والتمكين، فهو الفاسق الضال، يبيّن ذلك قوله تعالى (**وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور: 55).**

وهنا كلام للإمام البغوي -رحمه الله- يبيّن ذلك ويشرحه:"يقول قوله تعالى (ومن كفر بعد ذلك)، أراد به كفران النعمة ولم يرد الكفر بالله، فؤلئك هم الفاسقون العاصون لله، قال أهل التفسير أول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذي قتلوا عثمان ﷺ فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخوانًا". انتهى.

بداية الخلل في هذه الأمة كان بعد قتل عثمان ﷺ وأصبح القتال فيما بين المسلمين بين بعضهم بعضا، وإلى اليوم نرى هذا الواقع للأسف الشديد، لماذا؟ لأننا لم نشكر النعمة، نعمة التمكين.

يعني في زمن الصحابة وزمن الخلفاء الراشدين بلغ الاسلام مبلغًا لم يبلغه من قبل، نعم جاءت الدول الإسلامية من بعد ذلك وتوسعت رقعة الإسلام لكن لم يكن هناك تحقيق للإسلام على الأرض كما كان في زمن الخلفاء الراشدين، كانت هناك مخالفات وكان هناك ظلم أما في زمن الخلفاء الراشدين كان عمر ﷺ في مدينة رسول الله ﷺ وهو يفكر برعيته في العراق بل يفكر في أنعامهم، "لو عثرت بغلة أو ناقة في العراق لخشيت أن يسألني الله عنها". هذا عمر يقول هذا الكلام ﷺ.

فالشاهد أن التمكين في الأرض هو وعد من الله سبحانه وتعالى ولن يخلف الله وعده، فالواجب على المسلمين هو أن يسعوا لماذا؟ لإكمال إيمانهم وللعمل الصالح وللقيام بما أمرهم الله سبحانه وتعالى ويجتنوا ما نهاهم عنه الله سبحانه وتعالى ورسول الله ﷺ.

عند ذلك فلتبشر هذه الأمة بالتمكين في الأرض والأمن بعد الخوف، وهذا وعد من الله ولن يخلف الله وعده.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يمكّن لدينه في الأرض وأن يجعلنا من الذين يتمكنون في الأض وأن يجعلنا ممن يسعى للإيمان الكامل والعمل الصالح حتى يمكّن لهم الله سبحانه وتعالى في الأرض، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدرس التاسع

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

تكملة لدرسنا السابق الذين تكلمنا فيه وتأملنا في قوله تعالى (**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**) (**النور: 55**).

قال الله سبحانه وتعالى بعد هذه الآية مبيّنا حال الكافرين وحال المشركين وأنهم لا يعجزونه سبحانه وتعالى، قال تعالى (**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ**) (**النور: 57**).

قال ابن كثير -رحمه الله-: "وقوله تعالى (لا تحسبن) أي لا تظن يا مُحَمَّد أن الذين كفروا أي (خالفوك) وكذبوك معجزين في الأرض، أي لا يعجزون الله بل الله قادر عليهم، وسيعذبهم على ذلك أشد العذاب، ولهذا قال تعالى (ومأواهم) أي في الدار الآخرة (النار ولبئس المصير) أي بئس المآل مآل الكافرين، وبئس القرار وبئس المهاد". انتهى.

وقال سيد قطب -رحمه الله-: "فإذا استقمتم على النهج فلا عليكم من قوة الكافرين فما هم بمعجزين في الأرض، وقوتهم الظاهرة لن تقف لكم في طريق، وأنتم أقوياء بإيمانكم، أقوياء بنظامكم، أقوياء بعدتكم التي تستطيعون، وقد لا تكونون في مثل عدتهم من الناحية المادية، ولكن القلوب المؤمنة التي تجاهد تصنع الخوارق والأعاجيب". انتهى.

وهنا جاءت مناسبة هذه الآية الكريمة، فبعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى وعده للمؤمنين بالنصر والتمكين والأمن، بيّن أن الكافرين مهما بلغوا من عتو وزهو وقوة لا يعجزون الله في الدنيا، وستكون عاقبتهم الخسران والهزيمة والذل وفي الآخرة لهم النار وبئس المصير الذي سيؤولون إليه.

وقد بثّ الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز كثير من الآيات التي تدل على ذلك، فمن أمثال هذه الآية يقول الله سبحانه وتعالى (**لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**) (**آل عمران: 196-197**).

وقال تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**) (**الأنفال:36**). وغيرها من الآيات.

فاليوم على المؤمن ألا ينظر إلى قوة الكافرين ولينظر إلى قوة الله سبحانه وتعالى كم ستكون قوة الكافرين اليوم، ماذا عندهم من قوة؟ بارجات؟ طائرات؟ دبابات ؟ جيوش جرارة؟ كل هذا لا شيء أمام قوة الله سبحانه وتعالى إن الله سبحانه

وتعالى، عبد من عباده، جبريل عليه السلام، قلب أرضًا بل خمس قرى أصعدها إلى السماء، ثم قلبها إلى سابع أرض، سدوم، قرى سدوم، قوم لوط.

جبريل عليه السلام هذا جبريل، يصفه الله سبحانه وتعالى بـ (**ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ**) (التكوير: 20). فكيف بقوة الله سبحانه وتعالى! والله قادر على أن يهزم الكافرين اليوم ولكنه أخبرنا وقال سبحانه وتعالى (**فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (5) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (8)**) (محمد).

فعجبا لمن يسمع وعد الله للمؤمنين بالنصر والتمكين ووعيده للكفار بالخزي والهزيمة في الدنيا والمآل البائس في الآخرة، ثم يتخلف عن الجهاد والنصرة.

ويخاف من قوة أمريكا وروسيا وإيران وأعوانهم وأمثالهم.. ويخشى عاقبة جهاده ونصرته .. عجبًا له والله ثم عجبًا..!

كيف يكون عندنا مثل هذه الآيات، ثم نتخلف عن الجهاد، كيف يكون عندنا مثل هذه الآيات ثم نخشى قوة أعداء الله، هي ساعة واحدة ستأتي وستموت فيها، إن جاءت وأنت على الفراش ستموت على الفراش، إن جاءت وأنت في جبهات القتال ستقتل في جبهة القتال، بل قد تكون في ساحة المعركة وتموت موتًا

طبيعيًا وقد تكون على الفراش ويأتيك صاروخ فتقتل به، فالأجل لا يقدمه شجاعة الشجعان ولا يؤخره جبن الجبناء.

وهذا سيف الله المسلول ﷺ، خالد بن الوليد، بعد أن خاض جميع المعارك واقتحم المخاطر ثم يموت على فراشه، وأهل الجهاد يفهمون معنى كلمة خالد ﷺ عند احتضاره، عندما أتاه الموت، عندما قال:" أنا الذي ليس في جسمي موضع شبر إلا فيه ضربة بسيف أو طعنة برمح ثم أموت اليوم حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء".

أي الجبان الذي يخشى أن يحضر معركة، وأنا الذي حضرت مئة معركة ولم تأتيني الشهادة في تلك المعارك ثم أموت اليوم على فراشي؟ لا نامت أعين هذا الجبان الذي يخشى من خوض غمار الحروب، وخوض غمار الجهاد في سبيل الله.

وهو يعلم وينده في كتاب الله الوعد إما بنصر وإما بشهادة، ويعلم ما في كتاب الله من مآل الشهداء **(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171)) (آل عمران).**

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلنا ممن يعلم وعد الله للمؤمنين فيحققه ويعلم وعيد الله للكافرين فيعمل عليه إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدرس العاشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّد عبده ورسوله بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فجزاه الله خير ما جزى نبي عن أمته، أما بعد:

في درسنا هذا سنتأمل في قول الله تعالى (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**) (**النور: 62**).

قال ابن عاشور -رحمه الله-: "وهذه الآية أصل من نظام الجماعات في مصالح الأمة، لأن من السنة أن يكون لكل اجتماع إمام، ورئيس يدير أمر ذلك الاجتماع، وقد أشارت مشروعية الإمامة إلى ذلك النظام، ومن السنة ألا يجتمع جماعة إلا أمّروا عليهم أميرا، فالذي يترأس الجمع هو قائم مقام ولي أمر المسلمين، فهو في مقام النبي ﷺ فلا ينصرف أحد عن اجتماعه إلا بعد استئذانه، لأنه لو

جعل أمر الانسلال لشهوة الحاضر، لكان ذريعة لانفضاض الاجتماعات دون حصول الفائدة التي جمعت لأجلها". انتهى.

في هذه الآية بيان أهمية الأمير، في كل أمر جامع، كالجهاد والجمعة والجماعة والسفر وغيره، وأيضا فيها بيان أهمية استئذان الفرد لأميره، لأمر طارئ يطرأ عليه، يطرأ على وجوده في هذا الاجتماع، في الجهاد أو في غيره من الاجتماعات، لابد من أن يستئذن، هذا إذا طرأ عليه الأمر، وليعلم الجميع أن الله سبحانه وتعالى ربط هذا بالإيمان أو بكمال الإيمان، ليس بنفي الإيمان ولكن بكمال الإيمان، (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ**) (**النور: 62**) وفي استغفار رسول الله ﷺ بيان أن هذا الاستئذان لبعض الشأن فيه ترك للأولى (**فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**) (**النور: 62**)

ففيه بيان أن هذا الذي استئذن وخرج من هذا الاجتماع قد ترك الأولى فلذلك يستغفر له رسول الله ﷺ.

فإذا كان الذي يخرج من اجتماع بعد الاستئذان قد ترك الأولى فكيف بالذين يتسللون عن الاجتماعات المصيرية في حياة الأمة اليوم وخاصة الجهاد في سبيل الله، ويتخلفون عن الجهاد بعد أن عرفوه ومارسوه وذاقوا لذة مقارعة الكفار إرضاءً لله، ويرضون بعد ذلك للركون للدنيا بعد أن كانوا في ذروة سنام الإسلام.

هؤلاء قد أخطأوا بتخلفهم هذا بعد أن عرفوا هذه الفريضة وما فيها من عزة وشموخ وما فيها من إذلال للكافرين وما فيها من تمكين لدين الله، فهؤلاء أخطأوا

خطأ عظيمًا فقط بتركهم للجهاد بدون استئذان. وهم أصلا عندما يأتي إنسان ليستئذن الأمير أن يترك الجهاد من أجل بيته أو من أجل داره أو من أجل أهله أو من أجل أي سبب من هذه الأسباب والأعذار غير الشرعية التي بينها الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى (**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**) (**التوبة: 42**).

فإذا كان هذا خطأ من يترك الجهاد ويركن للدنيا ويرجع إلى بيته.

فكيف بمن يترك الجهاد ويسلم نفسه للطواغيت!

من يترك الجهاد ويعود إلى حضن الطاغوت وقد يدلي بمعلومات تضر المجاهدين وتؤثر على أعمالهم وأمنياتهم، فهذا بالضرورة قد ارتكب جرمًا إن لم يتب منه هو على خطأ عظيم. هذا الذي يترك الجهاد من أجل ماذا؟ بدون سبب، إما لحظ في نفسه أو مرض في قلبه أو بسبب الدنيا، أراد الدنيا، فياليته أخطأ خطأ بعودته إلى بيته وركونه للدينا، بل يذهب إلى أعداء المجاهدين ويسلم نفسه إليهم، فهذا خطأه أعظم وجرمه أكبر وهو على خطر عظيم كما ذكرنا.

وقد يقول إني رأيت أخطاء عند المجاهدين، فنقول لمثل هذا وهل الطواغيت وحكوماتهم لا يخطئون؟ وهب أن المجاهدين عندهم أخطاء، فكم ستكون أخطاءهم مقابل جرائم من سلمت نفسك لهم، عندما أرسل النبي ﷺ سرية

نخلة، بقيادة عبد الله بن جحش ﵁ إما أنهم كانوا في آخر يوم من جمادى الثاني، هم دخلوا في رجب وظنوا أنهم في آخر يوم من جمادى الثاني أو في بداية شعبان.

فوجدوا القافلة والنبي ﷺ قال لهم لا تقتلوا أحدا، فهم يعني كانوا يظنون أن الشهر الحرام خرج، فرضي الله عنهم أخذوا القافلة وقتل أحد المشركين وأسروا اثنين، الشاهد أنهم عندما عادوا إلى رسول الله ﷺ عاتبهم كيف قتلوا في الشهر الحرام. فقالوا يا رسول الله والله ما علمنا، يعني أخطأوا، أرسلت قريش تقول للنبي صلى الله عليه وسلم كيف تفجر في الشهر الحرام، أنت تزعم أنك رسولا من عند الله سبحانه وتعالى ثم تفجر في الشهر الحرام! فأنزل الله سبحانه وتعالى (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۖ**) (**البقرة: 217**).

يعني كبير القتال في الشهر الحرام لكن في المقابل (**وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِۗ**) (**البقرة: 217**). فإن كان هؤلاء المجاهدين أخطأوا بقتلهم في الشهر الحرام فأنتم جرمكم أعظم في مقابل خطئهم هذا.

(**وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِۗ**) (**البقرة: 217**). هكذا يتعامل القرآن مع أخطاء المجاهدين، عندهم أخطاء! ليس هناك أحد يعمل ولا يخطئ، لابد من الخطأ، لكن كيف نتعامل مع خطأ المجاهدين؟

نتعامل مع خطأ المجاهدين بالمقارنة بأخطاء أعدائهم، أيهما أكبر خطأ؟ المجاهدون اليوم أم أمريكا؟ أيهم أكبر خطأ؟ المجاهدون اليوم أم الطواغيت الذين بدلوا شرع الله ووالوا الكفار؟ هكذا نزن الأمور، وخطأ المجاهدين مغفور في مقابل حسناتهم.

عندما هُزم المسلمون في غزوة أحد كيف تعامل الله سبحانه وتعالى مع خطأ الرماة الذين نزلوا من الجبل وتسببوا في تلك الهزيمة، قال الله سبحانه وتعالى (**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**) (**آل عمران: 152**).

والذين هربوا في تلك المعركة هزموا وهربوا، ماذا قال الله لهم، سبحانه وتعالى (**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**) (**آل عمران: 155**).

فهذا الله سبحانه وتعالى يتعامل مع أخطاء المجاهدين إما بمقارنة هذا الخطأ بخطأ أعداء الله أو بالعفو والصفح عنهم وأنت تأتي وتقول أن المجاهدين عندهم أخطاء فتذهب وتسلم نفسك لأعدائهم وتدلي بمعلومات تضرهم! وتظن أنك قد أحسنت، كيف يكون هذا!

ثم انظر، مهما بلغت أخطاء المجاهدين فهل الحل أن تسلم نفسك لأعدائهم أم أن الحل والصواب أن تصلح وتنصح وتصبر حتى يأتي أمر الله ووالله يا من سلمت

نفسك أنك تعلم أن زعمك هذا ما هو إلا ذريعة وحجة واهية أردت أن تجعلها سببا لهروبك من الجهاد والله المستعان، وعن الله تجتمع الخصوم.

لو أنك صدقت مع نفسك وذكرت أن سبب هذا حظ نفسك أو ضعفك كما بعض الشباب ممن سلم نفسه ولكنهم صدقوا مع أنفسهم عندما سئلوا بعد تسليمهم لأنفسهم، لماذا سلمت نفسك؟ قال أنا ما أستطيع ولكن إخواننا هم خير منا وهم على الصواب أما أنا فضعفت، ضعفت وسلمت نفسي، هذا وإن كان أخطأ إلا أنه أفضل حالًا ممن يأتي ويسلم نفسه لأعداء الله ثم يضع الجرم ويضع الخطأ على من؟ على أهل الجهاد والله المستعان.

وأيضا نحن نحذر هذا الذي سلم نفسه، أنه بتسليمه بنفسه لأعداء الله يعرض نفسه للفتنة وأنهم لن يرضوا منه بتسليم نفسه فقط فإنهم سيطلبون منه الضمانات التي تضمن أنه لن يعود إلى الجهاد وقد يطلبون منه معلومات تضر بالمجاهدين وفي هذا ركون لأعداء الله وإبلاغ بمعلومات على المسلمين وفي هذا خطرا عظيما وقد يصل إلى حد موالاة الكفار والعياذ بالله.

فليس عليك أن توقع نفسك في مثل هذا الأمر وفي مثل هذا الذل والخزي، ماذا لو أنك ثبت مع إخوانك ؟ أو كما قلت لك من قبل، وكما قلت من قبل، إن كان ولابد فارجع إلى بيتك. خطأ، هذا الأمر خطأ ولكنك لن تصل إلى الخطأ والجرم الذي يصل إليه من سلم نفسه لأعداء الله.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يثبتنا على دينه وعلى الجهاد في سبيله وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

بهـذا الـدرس بإذن الله نكـون قـد انتهينـا مـن تأملاتنـا في سـورة النـور وسـنبدأ بإذن الله تعـالى بتأملاتنـا في سـورة الحجـرات نسـأل الله التوفيـق والسـداد وآخـر دعـوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدرس الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

بإذن الله في دروسنا سنبدأ في تأملاتنا في سورة الحجرات، انتهينا في الدرس السابق من تأملاتنا في سورة النور، واليوم بإذن الله سنبدأ في تأملاتنا في سورة الحجرات.

بداية مع قول الله سبحانه وتعالى في مطلع السورة **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الحجرات:1)**.

قال القرطبي -رحمه الله-: "أي لا تقدموا قولًا ولا فعلًا بين يدي الله وقول رسوله وفعله فيما سبيله أن تأخذوه عنه، من أمر الدين والدنيا، ومن قدم قوله أو فعله على الرسول ﷺ فقد قدمه على الله تعالى، لأن الرسول ﷺ إنما يأمر عن أمر الله عز وجل". انتهى.

وقال ابن كثير -رحمه الله-: "أي لا تسرعوا في الأشياء بين يديه، أي قبله، بل كونوا تبعًا له في جميع الأمور". انتهى.

إن هذا الخُلق من المؤمن في تقديمه لقول الله سبحانه وتعالى وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفعله هذا فيه أدب المؤمن مع الله ورسوله ﷺ.

ولابد أن يتدأب المؤمن مع الله ورسوله في هذه الأمور المهمة، وما هي؟ أن يأخذ عن الله ورسوله كل أموره فيما يتعلق بالدين وفيما يتعلق بالدنيا.

وفي هذه الآية بيّن الله سبحانه وتعالى تقديم قول الله عز وجل وقول وفعل رسول الله ﷺ على قول وفعل من دونهما مهما بلغت مكانته وفضيلته، يدل على ذلك كثير من الأمور، مثل عندما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الصلاة في منى فقال: تصلى الصلاة في منى قصرًا، فقالوا: ولكن أبا بكر وعمر صلوها إتمامًا، فأعاد عليهم الكلام: قال صلى رسول الله ﷺ في منى قصرًا، فأعادوا عليه الكلام، فقال لهم: والله تكاد تنزل عليكم حجارة من السماء! أقول لكم رسول الله وتقولون لي أبو بكر وعمر. يعني هذه مع مكانة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في الإسلام، فلا يقدم قول على قول رسول الله ﷺ حتى ولوكان قول أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فكيف بمن دون أبو بكر وعمر.

أيضا يقول الله سبحانه وتعالى في سورة النور (**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63)**).

قال ابن كثير -رحمه الله-: "وقوله (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنًا من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد) أي مردود عليه، أي فليحذر وليخش من يخالف شريعة الرسول باطنًا أو ظاهرًا أن تصيبهم فتنة، أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة، أو يصيبهم عذاب أليم أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك". انتهى.

فالذي يقدم قوله أو فعله أو قول أحد على قول رسول الله ﷺ، يخشى عليه من أن تقع في قلبه فتنة من كفر أو شرك أو نفاق أو بدعة، يعيش عليها ويموت عليها فيصلى جهنم وبئس المصير كما قال الله سبحانه وتعالى (**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**) (**الأنبياء: 115**) والعياذ بالله!

فالقول بالاجتهاد أو الاجتهاد بالرأي، لا ينبغي مع وجود النص الصحيح الصريح، قد يكون هناك نصوص فيها مقال، أو نصوص ليست واضحة الدلالة فهذه على العلماء أن يستنبطوا منها الأحكام، وقد يختلفون فيها ويكون في ذلك رحمة لأمة الإسلام، كما اختلف الأئمة الأربعة وغيرهم في بعض المسائل أو في كثير من المسائل. فتوزعت الأمة على هذه الأقوال، وكلها بإذن الله تعالى لا تخرج عن الصواب.

أيضا من الأشياء التي نراها في هذا الزمان خطأ من يقول بالمصالح والمفاسد مع وجود النص الآمر أو الناهي عن فعل أو قول ما. فتجد بعض الناس وبعض من ينتسب للعلم، يقول بمصلحة ظاهر النص فيها مخالفة هذه المصلحة التي قال بها.

فالأصل أن يؤخذ قول الله ورسوله، وأن يرد هذا القول، وليست هناك مصالح أبدًا مخالفة لكتاب الله ولسنة رسوله ﷺ. وهذا علماء الأصول يقولون أن في مثل هذا أن هذه مصلحة ملغاة لا ينبغي للمسلم أن يأخذ بها أبدًا.

فلابد من الرجوع دائما إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وكل مصلحة ليست في كتاب الله وسنة النبي ﷺ فهي ملغاة وكل مفسدة في كتاب الله وفي سنة النبي ﷺ يعني بيّنها الله ورسوله ﷺ فهي مفسدة ويجب ردها.

من ذلك مثلًا عندما نأتي لباب الجهاد في سبيل الله. وقد تعين على أهل الإسلام، جميع الأسباب التي يتعين الجهاد فيها قد وقعت في هذا الزمان، ومع ذلك تجد بعض الناس يرى من المصلحة أنه لا يخرج للجهاد في سبيل الله، فهذه مصلحته ملغاة ولا ينبغي أن يؤخذ بها، نعم في الجهاد كره، وفي الجهاد مشقة، ولكن فيه من المصالح ما الله به عليم. ونحن نرى اليوم، المصالح التي ترتبت على قيام الجهاد وسوق الشهادة في سبيل الله في كل مكان، وإن لم تظهر اليوم ستظهر في يوم ما. وإن لم تظهر أو لم تظهر لبعض الناس اليوم ستظهر لهم في يوم من الأيام بإذن الله تعالى، ولابد من سنة المدافعة، عندما جاء موسى عليه السلام، أو بُعث موسى عليه السلام في بني إسرائيل، (**قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن**

بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) **(الأعراف: 129)**.

فلابد من سنة المدافعة حتى يأتي النصر والتمكين بإذن الله تعالى وهذا ما يحصل اليوم، اليوم نحن في مخاض وستأتي ولادة جديدة لهذه الأمة، وستأتي ولادة جديدة لحكم الإسلام في الأرض بإذن الله تعالى، فلابد على المسلم أن يعلم أن كل مصلحة ليست في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ فهي مردودة وكل مفسدة لم يبينها الله سبحانه وتعالى ولا رسوله ﷺ أنها مردودة.

أيضا هناك كثير من الأحكام التي يوجد بها نصوص تدل عليها، يؤخذ فيها بظاهر النصوص، لا ينبغي التأويل في نص ظاهر بيّن لحكم من الأحكام، إلا إذا جاءت القرينة الواضحة التي تصرف الحكم عن ظاهر النص.

فنسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يوفقنا لاتباع كتابه وسنة رسوله ﷺ وأن يعيننا على ذلك وأن يحيينا عليه ويميتنا عليه إنه ولي ذلك والقادر عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدرس الثاني عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَّد عبده ورسوله.

أما بعد،

في درسنا هذا سنتأمل في قول الله سبحانه وتعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**) (**الحجرات: 6**).

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله-: "يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إن جاءكم فاسق بنبأ عن قوم فتبينوا، واختلف القراء في قراءة قوله (فتبينوا) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة (فتثبتوا) بالثاء، وذكر أنها في مصحف عبد الله منقوطة بالثاء، وقرأ ذلك بعض القراء فتبينوا بالباء بمعنى أمهلوا حتى تعرفوا صحته، لا تعجلوا بقبوله، وكذلك معنى فتثبتوا وهذا أيضا من الآداب التي على أولي الألباب التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره ولا يأخذوه مجردًا، فإن ذلك خطرًا كبيرا ووقوعًا في الإثم.

فإن خبره إذا جعل بمنزلة الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه فحصل من تلف النفوس والأموال بغير حق، بسبب ذلك الخبر، ما يكون سببًا للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق، التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه كذّب ولم يعمل به، ففيه دليل على أن خبر الصادق مقبول وخبر الكاذب مردود وخبر الفاسق متوقف فيه كما ذكرنا". انتهى.

إذن بيّن الإمام ابن جرير -رحمه الله- أن الخبر إذا جاء على ثلاثة أحوال، إما أن يكون خبرًا من صادق معلوم الصدق والعدل فهذا يقبل، وإما أن يكون خبرًا جاء عن كاذب فيرد، وإما أن يكون خبرًا جاء عن فاسق فهذا يتوقف في خبره حتى نتأكد ونتبيّن ونتثبّت من هذا الخبر، ولابد من التبيّن من خبر الفاسق الكاذب، وإلا وقعنا في إثم وفي مشكلة كما قال الله سبحانه وتعالى في هذه الآية **(إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)**.

هذا يبيّن لنا ويوحي لنا أن لابد أن نعرف حال من ينقل الخبر، ولا يكتفى بذلك أنه أحد من المسلمين، لا، لابد أن نعرف حال هذا الشخص الذي جاء بهذا الخبر، كيف هو حاله؟ هل هو من الصادقين، هل هو ممن يأخذ الخبر بدون أن يتأكد منه؟ هل هو من الناس الذين يحبون نقل الأخبار وبثّها في كل مكان، فلابد أن نعرف حال هذا الناقل للخبر.

ولنعلم أن عواقب الأخذ بخبر الكذاب، ومن لا يتحقق من الأخبار عظيمة وكبيرة وقد نقع في الظلم وقد نقع في عرض الناس، يعني بالجملة نقع في الخطأ والإثم، لذلك الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بين لنا أنه لابد من التثبت، أيضا هناك من الناس من يكثر من نقل الأخبار دون تحقق من صحتها، فلابد للمؤمن أن يجتنب الأخذ منه حتى ولو كان محقا في بعض الأحيان، لأنه أصبح ديدنه والأصل فيه نقل الكلام دون تحقق صحته.

يعني فلان من الناس أنا أعرف هذا الشخص أنه كلما جاءنا بخبر كان صادقًا فيه، فلن أكون مخطئًا إذا أخذت خبره يوما من الأيام على محمل الصدق لكن فلان من الناس آخر أعرف أنه لا يتحقق من الأخبار، بمجرد أن يطرأ على مسامعه خبر مباشرة يتكلم به ويبثه، فهذا لابد من التوقف في خبره حتى نتأكد من صحة كلامه.

وفي الحديث يقول النبي ﷺ :"إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث".

بعض الناس يبني على تحاليل، على ظن، على ربط الأمور بعضها ببعض حتى يستنتج إستنتاجًا يجعله خبرًا يقينًا كأنه رآه أو سمعه، ثم يبدأ ببثه على هذا الأساس، هذا لا ينبغي الأخذ منه، وينبغي رد قوله وينبغي نصحه فإن لم ينتصح فليوضع في خانة الكذابين الذين لا يؤخذ منهم قولا ولا خبرًا.

وفي سنن أبي داوود رحمه الله، يقول النبي ﷺ :"بئس مطية الرجل زعموا"، ما معنى زعموا، يعني يكثر: قالوا قالوا .. وكما قال النبي ﷺ :"إن الله كره لكم ثلاثا، كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال".

قيل وقال.

الرجل المؤمن الصادق، لا يكون ديدنه دائما قالوا وقيل وكذا، لا، رجل إذا طرأ عليه خبر مباشرة أو جاءه الخبر مباشرة يتأكد منه فإذا تأكد من صحته فأراد مثلا إصلاح هذا الأمر لابد من نقله لمن يهمه الأمر ولمن يستطيع تغيير المنكر إذا كان هناك منكر أو نصح صاحب الخبر هذا أو ما يتعلق بهذا الخبر، فمثل هذا لابد أن نتأكد منه.

أيضا أفهام الناس تتفاوت، يعني بعض الناس يأخذ الأخبار ويفهمها على فهمه، فيذهب ينقل للناس فهمه وقد يكون فهمه خاطئًا ونقله للأخبار والأحداث حسب فهمه، فلابد من التنبأ لذلك.

والله أن بعض الناس أنت تعرفهم جيدًا وتعرف يعني طريقة تفكيرهم وفهمهم للأمور، فعندما يأتيك بالخبر تعرف أن المقصد ليس كما قال. وأن هناك يعني أمر فيما جاء به من خبر، فعندما تذهب وتتأكد تجد أنك محقًا فيما ظننته في هذا الأمر، لأنك تعرف فهمه قاصر في بعض الأمور.

فلابد من وضع عين الاعتبار عند الاستماع لناقل الخبر من هذه الجزئية أنه الأفهام تتفاوت.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يعيننا على التأكد والتثبت والتبيّن من الأخبار التي تنتقل وخاصة في هذا الزمان الذي كثرت

فيـه الفـتن، وكثـر فيـه الكـذابون، وكثـر فيـه غـير المتحققـين، ونسـأله سـبحانه وتعـالى أن يوفقنا لما فيه صالح ديننا ودنيانا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدرس الثالث عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد.

في درسنا هذا سنتأمل في قول الله سبحانه وتعالى (**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (9) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10)) (الحجرات)**.

قال سيد قطب -رحمه الله-: "وما يترتب على هذه الأخوة أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة وأن يكون الخلاف أو القتال هو الاستثناء الذي يجب أن يرد إلى الأصل، فور وقوعه وأن يستباح في سبيل تقريره قتال المؤمنين الآخرين للبغاة من إخوانهم ليردوهم إلى الصف وليزيلوا هذا الخروج على الأصل والقاعدة". انتهى.

وقال ابن عاشور -رحمه الله-: "ولما كان المتعارف بين الناس، أنه إذا نشبت مشاقة بين الأخوين، لزم بقية الإخوة، أن يتناهضوا في إزاحتها مشيًا بالصلح بينهما، فكذلك شأن المسلمين، إذا حدث شقاق بين طائفتين منهم، أن ينهض

سائرهم بالسعي بالصلح بينهما، وبث السفراء إلى أن يرقعوا ما وهى ويرفعوا ما أصاب ودهى". انتهى.

حديثنا وتأملاتنا في هذه الآية لن يتعلق بالطائفة الباغية وأحكامها. وإنما سنركز الكلام على الصلح بين المسلمين، على الصلح بين المتخاصمين من المسلمين.

الواجب عند حدوث الخلاف بين الإخوة الاصلاح المباشر قبل تفاقم الأمور وتعسر الصلح، فإن المشكلة إذا كانت في مهدها، يسهل بإذن الله تعالى الإصلاح، وعلى المصلح بين الناس، بين المسلمين، أن يكون واعيًا، ذكيًا، عالما بطرق الإصلاح، لا نصعب الأمر، ولا نجعله مقننًا، لا، ولكن لابد عليه أن يكون فاهمًا كيف يصلح بين الأخوين أو بين الجماعتين إذا حصل الخلاف، قال الله تعالى (**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**) (**الأنفال:1**).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "هذا تحريج من الله على المؤمنين، أن يتقوا الله وأن يصلحوا ذات بينهم"، أي لا مسار للناس سوى التقوى والإصلاح.

الخلافات بين المسلمين تحصل، ولكن إذا كان هناك من أمة الإسلام من يسعى بالإصلاح دوما، وفي الجماعة الواحدة، أو في الطائفة الواحدة، أو في المجموعة التي تكون في شأن من الشؤون، يكون هناك من الناس الذين يحبون أن يصلحوا بين إخوانهم فهذا يرفع كثيرًا من الخلافات، ويجعل الجماعة المسلمة والأمة المسلمة، في ألفة وود دائم بإذن الله تعالى.

عن سهل بن سعد ﷺ أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: "اذهبوا بنا نصلح بينهم". يعني ما تأخر عليه الصلاة والسلام، مباشرة عندما علم أن هناك خلاف نشب بين فئتين أو جماعتين من المسلمين، قام مباشرة بالصلح.

"اذهبوا بنا نصلح بينهم".

من المفترض أن تكون في هذه الأمة شعار: "اذهبوا بنا نصلح بينهم" إذا سمعنا بأي خلاف بين أخوين، خلاف بين جماعتين، خلاف في داخل الأمة المسلمة مباشرة اذهبوا بنا نصلح بينهم.

وفي ذلك فضل كبير في الإصلاح بين المسلمين، قال الله سبحانه وتعالى **(لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء: 114).**

كل النجوى، كل الكلام، أكثر الكلام لا خير فيه باستثناء هذه الثلاثة، إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، وذكر بين هذه الثلاثة الإصلاح بين الناس.

فمن أراد أن يكون كلامه من خير الكلام فليصلح بين إخوانه وبين الناس.

وقال رسول الله ﷺ: "ألا أنبئكم بدرجة أفضل من الصلاة والصيام والصدقة؟" قالوا: بلى، قال: "صلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة".

قال الترمذي، ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: "هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين".

يعني يذهب الدين بسبب فساد ذات البين.

يقلّ الإيمان وتقلّ التقوى بسبب فساد ذات البين، عندما نرى في أمة الإسلام اليوم كثرت الخلافات وكثرت المشاحنات بين المسلمين.

أما ما يحصل بين المسلمين والكافرين أو بين المسلمين والمرتدين، ممن بدلوا شرع الله وممن والوا الكفار فهذا حق لابد منه وهو من الجهاد في سبيل الله، إذا قام المسلمون بالجهاد في سبيل الله ضد هذه الفئات المعادية للإسلام والمعادية للدين، فيجب تأييده، أما ما يحصل بين المسلمين وبين الإخوة فيما بينهم فلابد من الإصلاح.

وعندما كثرت هذه المشاحنات وكثرت الأحزاب وكثرت الجماعات وأصبح كل واحد ينطلق من منطلق جماعته وحزبه ومن كان معه في هذه الجماعة أو هذا الحزب فهو الحبيب المقرب ومن كان خارج هذه الجماعة أو هذا الحزب فهو من المبعد وإذا حصل فساد بينه وبين أخيه المسلم فلا يكترث لذالك بل قد ترتفع أو قد تتوسع فوهة الخلاف بسبب هذه الأمر فهذا من الباطل وليس من الحق في شيء.

وفي الحديث يقول النبي ﷺ "أفضل الصدقة إصلاح ذات البين"، يعني الذين يحبون أن يتصدقوا وأن يبذلوا أموالهم في سبيل الله وفي سبيل الأعمال الخيرية أفضل ما يفعلونه في باب الصدقة أن يصلحوا ذات البين. نعم.

ومع أن الله ورسوله ﷺ قد ذموا الكذب وذموا الكذابين إلا أمن رسول الله ﷺ رخص وجوز ذلك عند الاصلاح بين المسلمين فقال عليه الصلاة والسلام: "ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا".

قال ابن شهاب: " ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث .. وذكر منها .. الإصلاح ذات البين".

يعني يجوز أن يأتي الإنسان فإذا أراد أن يصلح بين أخوين أو أراد أن يصلح بين جماعتين أن يذكر محاسن هذه الجماعة ويذكر وإن لم يكن حصل ذلك، أن يذكر مدح هذه الجماعة أو مدح هذا الأخ لأخيه وأنه ذكره بخير وهكذا حتى تلين القلوب ويحصل الاصلاح بكل يسر بإذن الله تعالى.

أما من يقوم بفساد ذات بين المسلمين ويحرش بينهم ويذكي نار الفرقة في أوساطهم فهذا يقوم بعمل الشيطان ويحقق رغبة الأعداء في المجتمع الإسلامي بالفرقة بينهم والتحريش بينهم وكثرة المشاكل بينهم، هذا الذي يقوم بعمل الشيطان كيف علمنا أنه يقوم بعمل الشيطان بقول رسول الله ﷺ "إن الشيطان قد آيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم".

وأيضا هذا من فعل المنافقين عندما كانوا في زمن الرسول ﷺ كانوا يحاولون أن يفسدوا ذات بين المسلمين يقول الله تعالى (**الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**) (**التوبة: 107**).

فمن مقاصد المنافقين في بناء المسجد الضرار ومن مقاصد المنافقين في هذا الزمان من بناء المنشآت التي يكون لها القصد الكبير وخاصة أجهزة المخابرات والمباحث التي عملها التحريش بين المسلمين، وكما رأينا بعض الحكومات التي تقوم بدعم الفئات المتقاتلة، الفئات المتشاحنة من أجل أن يبقى هذا الأمر فيهم ويكون السيادة لهؤلاء المجرمين وعندهم القاعدة أو.. هذه كانت سياسة بريطانيا من قبل (فرق تسد) وهؤلاء أذناب البريطانيين وأذناب الأمريكان يقومون بنفس فعلهم فرق تسد.

ولكن نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يرد كيدهم في نحرهم وأن يصلح ذات بين المسلمين وأن يحيي قلوب المسلمين بالإيمان والتقوى وأن يرد ألفتهم ومحبتهم لبعضهم البعض وأن يحيي بذلك أمة الإسلام من جديد كما كانت في زمن النبي ﷺ الذي كان عليه الصلاة والسلام ما إن يرى نواة لذلك إلا وجاء مباشرة عليه الصلاة والسلام وأنهاها في مهدها.

كما جاء في الأحاديث وفي تفسير قول الله سبحانه وتعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100)**

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (101)) (آل عمران).

جاء في تفسير هذه الآيات أن اليهود غاضهم ما كان من ألفة الأنصار الأوس والخزرج في المدينة، فمر أحدهم مرة ورأى الأوس والخزرج في مجلس جميعًا يتحدثون ويتجاذبون أطراف الحديث ويضحكون فقال: والله ليس لنا بها مقام وقد اجتمع جمع بني قيلة، فأرسل غلام له، فدخل بينهم وذكرهم بحرب بعاث التي كانت قبل الإسلام وقبل الهجرة، فتواثب الحيان وكاداو أن يقتتلوا، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك جاء عليه الصلاة والسلام مسرعًا يجر رداءه حتى وقف بينهم وقال: "أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهوكم دعوها فإنها منتنة" وأنزل الله هذه الآيات يبين شر أعداء الله وكيف أنهم يريدون التحريش والفرقة بين المسلمين.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يصلح ذات بيننا وأن يوفقنا لما فيه الألفة والمحبة بين المسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدرس الرابع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَّد عبده ورسوله.

أما بعد:

في درسنا هذا سنتأمل في قول الله سبحانه وتعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (الحجرات: 11)**.

قال السعدي –رحمه الله–:"وهذا أيضا من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض ألا يسخر قوم من قوم بكل كلام وقول وفعل دال على تحقير الأخ المسلم، فإن ذلك حرام ولا يجوز، وهو دال على إعجاب الساخر بنفسه وعسى أن يكون المسخور به خيرًا من الساخر كما هو الغالب والواقع، فإن السخرية لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق، متحلٍ بكل خلق ذميم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (بحسم امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم)".انتهى.

وقال سيد قطب -رحمه الله-: " إن المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدي القرآن مجتمع له أدب رفيع، ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس وهي من كرامة المجموع ولمز أي فرد هو لمز لذات النفس، لأن الجماعة كلها واحدة كرامتها واحدة". انتهى.

في هذه الآية نُهي المسلمون عن السخرية ببعضهم البعض لما في ذلك من فساد المجتمع، إذا كثرت السخرية من المسلمين بعضهم على بعض يفسد المجتمع، لماذا؟ لأنه يصبح كل واحد يرى نفسه أفضل من أخيه، وهذا من فساد المجتمع الذي حذر منه رسول الله ﷺ ألا نقع فيه في كثير من الأحاديث، من ذلك يقول عليه الصلاة والسلام:"لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ..".

ولا تناجشو، كيف يعني تناجشوا؟ يعني إذا جاء البيع، في المزاد كما يقال اليوم فجاء صاحب السلعة مثلا يزاود في السلعة فيقول مثلا هي بألف يأتي شخص آخر ويرفع دون نية الشراء، ألف ومئة، فهذا يريد السلعة، الذي يريد السلعة، يضطر أنه يرفع أكثر من هذا الشخص الآخر وهكذا فهذا هو النجش.

ولا تباغضوا البغضاء معروفة.

ولا تدابروا يعني لا تختلفوا، يدبر بعضكم لبعض.

حتى كان أحد العلماء بعد الصلاة إذا انتهت الصلاة، ورجع الناس للخلف كان ينهاهم عن ذلك خوفًا من الوقوع في التدابر، أن يعطي المسلم دبره لأخيه.

"ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه".

هذا هو الخلق الإسلامي الذي وجهنا له رسول الله ﷺ أن يكون علاقة المسلم بأخيه المسلم هكذا، أن تكون علاقة المسلم بأخيه المسلم بالنظرة له نظرة العلو ونظرة الأخوة ونظرة المحبة، أما نظرة الاستحقار و رؤية الشخص أنه أفضل من أخيه وما إلى ذلك أو سخريته به لشيء يقع فيه، فهذا فيه فساد للمجتمع، وأيضا الواجب على المسلم أن يدافع عن أخيه أو إخوته المسلمين إذا تعدى أحدهم على أعراضهم في غيبة، إذا انتشر هذا الخلق بيننا لن يكون هناك مساغ للغيبة، لن يكون هنا مساغ لجعل عرض المسلمين حديث المجالس، وفي فعل هذا الإنسان الذي يرد عن أخيه و يدافع عن أخيه في غيبته فيه أجر عظيم وسيكون فعله هذا في نجاته من النار بإذن الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: "من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة".

وفي رواية للحديث أو في لفظ "من رد عن عرض أخيه بالغيب رد الله عن وجهه النار يوم القيامة".

بسبب الرد عن عرض الأخ المسلم ننجو من النار فلابد للإنسان المؤمن أن يرد عن عرض أخيه بما استطاع لذلك سبيلا، أول ما يسمع من أحد يتكلم في أحد من إخوانه المسلمين أو مجموعة من المسلمين بغير حق فلابد أن يرد عليهم، لا

يلزم أن يكون الرد قاس، لا، فيوقفه باللين، أخي الحبيب لا ينبغي أن نتكلم في إخواننا المسلمين هذه من الغيبة التي لا يرضاها الله سبحانه وتعالى ولا رسوله ﷺ، يعني بالطريقة والأسلوب الطيب بإذن الله تعالى تصل المعلومة لهذا الأخ المسلم الذي وقع في هذا الخطأ ونصلح الأمر بدون مشاكل وبدون خلاف كبير أو ما إلى ذلك أو ندخل الشيطان في باب من أبواب الخير.

الآية فيها من الفوائد والتأملات كثيرة إن شاء الله تعالى سنكمل في درسنا قادم بقية تأملاتنا في هذه الآية.

فنسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يعلمنا ما جهلنا وأن ينفعنا بما علمنا إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الخامس عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

تكملة لدرسنا السابق في قول الله سبحانه وتعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (الحجرات: 11)**.

وفي درسنا هذا سنتكلم عن قول الله سبحانه وتعالى ونتأمل في قول الله سبحانه وتعالى (**وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**).

قال البغوي -رحمه الله-: "(ولا تلمزوا أنفسكم) أي لا يعب بعضكم بعضًا ولا يطعن بعضكم على بعض، (ولا تنابزوا بالألقاب)، التنابز التفاعل من النبز وهو اللقب وهو أن يدعى الإنسان بغير ما سمي به، قال عكرمة: هو قول الرجل للرجل يا فاسق، يا منافق، يا كافر، وقال الحسن: كان اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد إسلامه يا يهودي يا نصراني، فنهوا عن ذلك قال عطاء هو أن تقول لأخيك يا كلب يا حمار يا خنزير.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنُهي أن يعيّر بما سلف من عمله.

(بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) إي بئس الاسم أن يقول يا يهودي أو يا فاسق بعد ما آمن وتاب. وقيل معناه أن من فعل من السخرية والنبز واللمز فهو فاسق، (وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق، ومن لم يتب من ذلك فؤلئك هم الظالمون" انتهى.

هذه الآية تدل على تحريم التنابز وخلع الألقاب غير اللائقة في حق المسلم أيا كانت هذه الألقاب، وتشمل كل ما ذكره البغوي رحمه الله ونقله عن غيره من السلف.

يعني جميع ما يسمى به المسلم من غير اسمه هذا منهي عنه، إلا في حالات أن يكون بالتعريف مثلًا كتعريف الأعمش -رحمه الله - كان معروفا بالأعمش وغير هذه الألقاب التي كانت للتعريف فقط أو عندما نصف شخصًا لشخص، فنقول فلان الأعرج يعني الذي كان فيه عرج أو فلان الأعمى هذا لا بأس به في حال التعريف فقط، أما أن ننبز وأن نخلع الألقاب غير اللائقة على مسلم وهو لا يستحقها فهذا لا يجوز ومحرم وكل ما ذكر سابقًا يدخل فيه، وأعظم التنابز في الألقاب قول المسلم لأخيه: يا كافر أو يا فاسق أو يا مبتدع أو يا عدو الله وهو لا يستحق ذلك. هذا من أعظم التنابز ومن أعظم الألقاب والتي لا ينبغي أبدا وجاء فيها الوعيد من رسول الله ﷺ لكل من وقع فيه، قال رسول الله ﷺ :"أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه".

وفي رواية "من دعا رجلًا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه" أي رجع عليه.

وقال عليه الصلاة والسلام:"لا يرمي رجل رجلا بالفسوق ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك". فالأمر خطير وبعض العلماء ذكر من أسباب تكفيرهم للخوارج كان هذا السبب وإن كان الصواب والله أعلم أنهم لا يكفرون كما جاء عن علي ﵁ إلا أن هذا القول قول عظيم أن تنسب الكفر لأخيك المسلم وهو لا يستحق ذلك أو الفسق أو الفجور أو النفاق وهو لا يستحق ذلك فهذا مما أنت متوعد عليه إن لم تتب منه، فلابد أن نتقي الله سبحانه وتعالى في خلع الألقاب وإطلاقها دون أن يكون صاحب هذا الفعل أو هذا اللقب لا يستحق. ولابد على المسلم أن يتخلق بالأخلاق الحسنة وبأخلاق النبي ﷺ.

ما كان النبي ﷺ يفعل ذلك حتى مع أعدائه، كان عليه الصلاة والسلام من أسباب إسلام كثير من الناس سببه خلق النبي ﷺ **(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: 4)** فسبب إسلام الناس كان بسبب خلقه الرفيع عليه الصلاة والسلام.

ومن ثمّ جاء أصحابه رضوان الله عليهم وتخلقوا بهذه الأخلاق الحسنة التي كان يتخلق بها رسول الله ﷺ ونقلوا عنه هذه الأخلاق.

عن أنس ﵁، قال:" لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا لعانًا ولا سبابًا كان يقول عند المعتبة ما له ترب الجبين". يعني التصق جبينه بالتراب.

يعني إذا غضب عليه الصلاة والسلام كان يقول: ما له؟ ترب جبينه، أي التصق جبينه بالتراب.

اليوم أقل ما يقال أو أصبح الأمر مستساغًا عند الناس: يا كلب يا حمار هذه طبيعي جدا، قد يكون يا كافر يا فاسق هذه كبيرة وقد يكون حتى في بعض أوساط المسلمين خرجوا عن الأصل والاستقامة وعن الالتزام بدين الله فيصبح الرمي بالفجور، الرمي بالزنا أمر طبيعي مع أن هذا أمر عظيم ومتوعد عليه المسلم إذا وقع فيه بل أصبح القذف منتشر بين الناس دون أن يكون رقيب على ذلك.

فلانة الفاعلة، فلان ابن الفاعلة، أين تذهب من الله سبحانه وتعالى أين تذهب من هذا الفعل.

والله لو كان هناك شرع يطبق لجلد كثير من الناس حد القذف 80 جلدة.

ففي انتشار هذا الخلق، قذف المسلمين وانتشار هذا بينهم فساد للمجتمع لا ينبغي أن يكون ولابد من إصلاحه والنصح فيه.

وقال رسول الله ﷺ :"ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا البذيء ولا الفاحش". يعني لا يكون من خلق المؤمن المؤمن الكامل الذي يسعى لكمال الإيمان لا يكون من خلقه الطعن في المسلمين أو في أنسابهم أو في أحسابهم أو في خُلقهم أو في خَلقهم، فهذا لا ينبغي أن يقع من المؤمن ولا كثرة اللعن أن يلعن على صغيرة أو كبيرة، وقد انتشر هذا الأمر في أوساط الناس فأصبح اللعن على طرف لسانه، ما أن يحصل الشيء الصغير والكبير إلا وأطلق اللعن، ولا البذيء الذي يكون خلقه

بـذيء، فيـه قسـوة فيـه غلظـة علـى المـؤمنين فهـذا لا ينبغـي أن يقـع مـن المـؤمن، ولا الفـاحش الـذي في كلامـه الفحـش والـتفحش والكـلام السـيء ويصـبح ديدنـه هـذا ويصبح يعرف بهذا الأمر فلا ينبغي من المؤمن أن يقع في مثل هذه الأمور.

فنسـأل الله العظـيم رب العـرش العظـيم أن يحسّـن أخلاقنـا وأن يعيننـا علـى إصـلاح مجتمعاتنـا والنصـح فيهـا وانتشـار الأخـلاق الطيبـة في هـذه المجتمعـات إنـه ولي ذلـك والقـادر عليـه وآخـر دعـوانا أن الحمـد لله رب العـالمين وصـلّ اللهـم علـى نبينـا مُحَّمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السادس عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّد عبده ورسوله، أما بعد:

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلًا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا،

نكمل معا تأملاتنا في سورة الحجرات وقد توقفنا عند قوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**) (**الحجرات: 12**).

قال سفيان الثوري -رحمه الله-: "الظن ظنان، أحدهما إثم وهو أن تظن وتتكلم به والآخر ليس بإثم وهو أن تظن ولا تتكلم، (ولا تجسسوا) التجسس هو البحث عن عيوب الناس، نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها". انتهى.

وقال ابن جرير -رحمه الله-:" يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تقربوا كثيرا من الظن بالمؤمنين وذلك أن تظنوا بهم سوءًا فإن الظان غير محق وقال

جلّ ثناؤه (اجتنبوا كثيرًا من الظن) ولم يقل الظن كله إذ كان قد أذن للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير فقال (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا وقالوا هذا إفك مبين) فأذن الله جلّ ثناؤه للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير وأن يقولوا وإن لم يكونوا في قيلهم فيه على يقين". انتهى.

إذن في هذه الآية يبىن الله ويحذرنا من كثير من الظن وهو الظن السيء بالمؤمن الظاهر عليه الخير يعني أن الله سبحانه وتعالى ينهانا أن نظن بالمؤمن الذي في ظاهره الخير أن نظن به الشر، كذلك من ظن بمؤمن شرًا، إذا ظن أحدنا بأخيه المؤمن شرًا، فإن سكت فليس عليه شيء إلا إذا تكلم بما يظنه من سوء دون بيّنة حقيقية يقع في الإثم، **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)** لماذا؟ لأنهم تكلموا بشيء خطر بباله وظنه ظنا، شك فيه، وهو ليس على الحقيقة وليس عنده بيّنة على ذلك.

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من هذا الأمر، من الظن فقال عليه الصلاة والسلام "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث"، وقال عليه الصلاة والسلام:"ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانًا". فبدأ عليه الصلاة والسلام بأمر الظن، بأن الظن يقع منه أو يتلوه ما ذكره عليه الصلاة والسلام، وهو التحسس والتجسس والحسد والتدابر والتباغض وعلينا أن نكون عبادا لله سبحانه وتعالى، إخوانًا.

قال أبو سليمان الخطابي: قوله (إياكم والظن)، فإنه أراد النهي عن تحقيق ظن السوء وتصديقه دون ما يهجس بالقلب من خواطر الظنون فإنها لا تملك، قال الله تعالى (إن بعض الظن إثم) فلم يجعل الظن كله إثمًا.

وقال غيره فنهى عليه الصلاة والسلام أن تحقق على أخيك ظن السوء إن كان الخير غالبًا عليه.

وروي عن عمر ﷺ أنه قال لا يحل لمسلم يسمع من أخيه كلمة أن يظن بها سوءًا وهو يجد لها في شيء من الخير مصدرًا، يعني إذا سمع المؤمن من أخيه ما يحتمل عليه الخير والشر فليحمله على محمل الخير، لا يحمله على محمل الشر وقد ذكر كذلك عن عمر أنه قال احتمل لأخيك سبعين عذرًا فإن لم تجد فقل لعله ولعله. يعني بعد السبعين عذر تقول إيش؟ لعله ولعله.

تحتمل له الخير.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: "من علم من أخيه مروءة جميلة فلا يسمعن فيه مقالات الرجال ومن حسنت علانيته فنحن لسريرته أرجى".

وروى معمر عن إسماعيل بن أمية قال: "ثلاث لا يعجزن بني آدم: الطيرة وسوء الظن والحسد، قال: فينجيك من سوء الظن ألا تتكلم به وينجيك من الحسد ألا تبغي أخاك سوءًا وينجيك من الطيرة ألا تعمل بها". انتهى

فإذا ظننت بأخيك ظن السوء، يعني لابد وجاءتك هذه الخواطر وهذه الظنون فإن جاءتك فلا تتكلم بها وحاول أن تدفعها بقدر المستطاع من نفسك.

أما التجسس فهو التبحث والاستقصاء والفحص عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال ذلك في الشر.

قال سيد قطب رحمه الله:" والتجسس قد يكون هو الحركة التالية للظن وقد يكون حركة ابتدائية لكشف العورات والاطلاع على السوءات". انتهى.

عندما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية وبدأ بالظن فقد يكون الظن هو مبدأ الشر والعياذ بالله، فيظن الانسان الظن السوء بأخيه فيدعوه ذلك لأن يتجسس، فبعد التجسس تحصل الغيبة، يذهب ويتكلم بما ظنه وتوهمه ثم يتجسس فإذا رأى شيئا قام وتكلم واغتاب أخيه. قد يكون الحركة الأولى وقد يكون التجسس هذا ابتداء يعني عمل مجرد عن الظن قد يكون ما هو مأمور بالتجسس وأشر وأخطر التجسس على صاحبه التجسس على المسلمين لصالح الكفار، هذا أعظم شيء وهذا يكون فيه مولاة للكفار فبالتالي يصبح صاحبه من المرتدين والعياذ بالله، أن يتجسس على إخوانه المسلمين لصالح أعدائهم فهذه موالاة لهم للكفار، وبها يخرج عن دين الله سبحانه وتعالى لقوله تعالى **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ)** (**المائدة:51**) وأي موالاة أعظم من أن يدل على عورات المسلمين أو يضع شريحة إلكترونية تأتي الطائرات المسيرة وتضرب عليها أو غير ذلك من طرق التجسس فهذا فيه شر عظيم على صاحبه ولابد إن لم يتب منه أن يقوم المسلمون بالقبض عليه وإقامة الحد فيه ولعله أن يكون عبرة لغيره.

وإذا كان التجسس، يعني أنظر هذا التجسس على المسلمين لصالح الأعداء ليس فيه خلاف على شرع، فإذا كان التجسس على المؤمنين لإنكار منكر أو معرفة حال أشخاص قد يظن أنهم يرتكبون خطأ ما لا ينبغي أن يتجسس عليهم حتى ولو كان لإنكار المنكر وكان يراه الصحابة ﷺ إتيان ما حرم الله.

ذكر البيهقي -رحمه الله- عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أنه حرس مع عمر ليلة بالمدينة فبينما هم يمشون شب لهم سراج من بيت فانطلقوا يأمونه حتى إذا دنوا منه إلى باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط، فقام عمر ﷺ وأخذ بيد عبد الرحمن وقال أتدري بيت من هذا؟ قلت لا، قال هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شرب، فما ترى؟

استشاره، قال عبد الرحمن: أرى أن قد أتينا من نهى الله عنه (ولا تجسسوا) فقد تجسسنا، وانصرف عنهم عمر ﷺ وتركهم.

حتى في هذا الموطن عندما تجسس على هؤلاء القوم الذين كانوا يشربون الخمر ولهم لغط، حتى في هذا الموطن لا ينبغي على المؤمن أن يتجسس، لما فيهم من نهي من الله سبحانه وتعالى (ولا تجسسوا) وليعلم كل مؤمن أن جزاء من تجسس وتتبع عورات المؤمنين أن يتتبع الله عورته ويفضحه ولو في بيته قال رسول الله ﷺ:" يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع عورته يفضحه ولو في جوف رحله".

نسأل الله العافية من هذا الأمر، من التجسس ومما يفضي إلى التجسس من الظن السوء أو أن يتجسس الإنسان من تلقاء نفسه أو يتجسس الإنسان لصالح الأعداء على المسلمين فنسأل الله العظيم أن يعافينا من ذلك إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وإن شاء الله تعالى سنكمل تأملاتنا في بقية الآية في درسنا القادم والحمد لله رب العالمين وصلّ الله وسلم على نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السابع عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، مباركًا عليه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فنكمل معا تأملاتنا في قول الله سبحانه وتعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**) (**الحجرات: 12**).

وقد تكلمنا في درسنا السابق عن الظن والتجسس، وفي درسنا هذا سنتكلم عن الغيبة (**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**).

ومعنى الغيبة: لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه، يعني ألا يذكر أحدكم أخاه بسوء بظهر الغيب بما هو فيه وبما يسوءه، وفي الحديث توضيح جلي لمعنى الغيبة فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "أتدرون ما الغيبة؟" قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "ذكرك أخاك بما يكره" قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول

فقد بهته". والبهتان أعظم من الغيبة. يعني أن تكذب عليه وتتقول عليه وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله الاجماع على تحريم الغيبة، ولعظم جرم المغتاب لأخيه المسلم شبه بمن يأكل لحم أخيه المسلم وهو ميت، ولهذا التشبيه أوجه عدة بين المشبه والمشبه به:

أولها أن الذي يُغتاب لا يعلم أن أخاه يغتابه تمامًا كما أن الميت لا يعلم من يأكل لحمه.

وثانيها أن الذي يغتاب أخاه الحي قد هتك حرمة أخيه تمامًا كما أن آكل لحم أخيه ميتًا قد هتك حرمته.

وثالثها أن الغيبة أمر مستقذر في الطبائع السليمة تمامًا كما أن أكل لحم الميت أمر مستقذر أيضا.

وقد كان عمرو بن العاص ﷺ يسير مع نفر من أصحابه فمر على بغل ميّت قد انتفخ فقال: والله لئن يأكل أحدكم من هذا حتى يمتلأ بطنه خير من أن يأكل لحم مسلم. والعياذ بالله. يعني وفي هذا تشبيه الله سبحانه وتعالى فيمن يغتاب أخاه، كمن يأكل لحم أخيه ميتًا وهذا أمر فظيع ومستقذر فلذلك هذا التشبيه تنفير لأمر الغيبة، ولهذا المنكر العظيم.

من الأشياء التي لابد من أن يتنبه لها المسلم في هذا الباب، في باب الغيبة، خطأ من يقول أخي لا يكره ذلك مني، يعني أن يستسيغ أمر الغيبة ويذكر أخاه بما

يكره فإذا قيل له اتق الله يا أخي لا تغتاب أخاك فيقول ماذا؟ فيقول إن أخي لا يكره ذلك مني، وهذا خطأ فالغيبة في نفسها في ذاتها محرمة.

وأيضا من يقول لأخيه: أخي عرضي مستباح لك، تكلم فيّ متى شئت، وهذا أيضا لا يجوز وقد أنكره الإمام النوي -رحمه الله- في كتاب الأذكار، لماذا؟ العلة في ذلك أن الغيبة أمر محرم في ذاته، يجوز لك أن تستمح من أخيك وأن يسمح لك أخاك بعد أن يحصل الأمر هذا لأنه حق وحقه يجوز له أن يتنازل عنه، لكن أن يسوغ هذا الأمر من بداية الأمر فلا، أن يقول لك افعل ما شئت، اغتبني متى شئت، لا، الغيبة في أصلها محرمة فلا يجوز لك أن تسوغها لأحد من إخوانك، فإذن هذا الأمر لا يجوز، والمجتمع الذي تنتشر فيه الغيبة وتستشري بين أفراده، مجتمع فاسد وأصحابه استحقوا مقت الله سبحانه وتعالى وغضبه لأنهم لم ينكروا هذا المنكر، هذا منكر والمشكلة في هذا الزمان أصبح هذا المنكر مستساغ عند الناس، بل أن المجالس لا تحلو إلا بغيبة فلان وغيبة علان فهذا لا يجوز ولابد أن ننكر هذا المنكر وقد قال الله سبحانه وتعالى (**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**) (**المائدة: 78-79**).

فما كانوا ينكرون المنكر عندما يحدث فاستحقوا مقت الله وغضبه ولعنته والعياذ بالله، نسأل الله العافية.

وقال سبحانه وتعالى (**فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلا قَلِيلا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ**

وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (116) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (117)) (هود).

فلابد من الإصلاح، هذا أمر شنيع أن يستشري في مجتمع المسلمين وأن يصبح مستساغًا لكل إنسان أن يسمع أخاه وهو يغتاب ويذكر إخوانه بما يكرهون ثم لا ينكر عليه، فلابد أن ننكر على إخواننا وأن نبتعد نحن عن هذا الخلق الذميم.

فالمؤمن الحق لابد أن يتبعد عن هذا الخلق وأن ينهى عنه ويحذر إخوانه المسلمين من فعله وانتشاره بينهم، بهذا يسود بين المسلمين الألفة ويسود بين المسلمين الأخوة والمحبة، ويسود بين المسلمين كذلك الأخلاق الحسنة وتذهب عنهم هذه الأخلاق السيئة.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يعافينا من هذه الأخلاق ومن الغيبة بحد ذاتها ونسأله سبحانه وتعالى أن يصلح مجتمعاتنا وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا وأقوالنا إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدرس الثامن عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن مُحَّد عبده ورسوله.

نكمل معاً تأملاتنا في سورة الحجرات، وفي هذا الدرس إن شاء الله سنتكلم ونتأمل في قول الله سبحانه وتعالى (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**) (**الحجرات: 13**).

قال ابن عطية –رحمه الله-:" وقصد هذه الآية التسوية بين الناس، ثم قال تعالى (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) أي لئلا تفاخروا. ويريد بعضكم أن يكون أكرم من بعض. فإن الطريق إلى الكرم غير هذا. (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)". انتهى.

فإذاً الفخر والكرم ليس بالنسب ولا بالمال ولا باللون ولا بالجمال، ولا غير ذلك مما يتفاخر الناس به اليوم. إنما الكرم والتفاضل بالتقوى. بفعل الطاعات وترك المنكرات. والناس في ذلك يتفاضلون فأكرم الناس عند الله سبحانه وتعالى أقربهم

وأكثرهم تقوى. فمن أراد أن يعرف منزلته عند الله سبحانه وتعالى فلينظر مقدار التقوى عنده. لأن الله يقول (إن أكرمكم عند الله أتقاكم). فميزان الكرم عند الله سبحانه وتعالى هو التقوى.

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من التفاخر فيما بيننا بالجاهليات. وحثنا عليه الصلاة والسلام على التفاضل والتكارم بيننا بالتقوى. فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب بمكة يوم الفتح. فقال: "يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبيّة الجاهلية وتعاظمها بأبائها. فالناس رجلان، رجلٌ برٌ تقي كريمٌ على الله. وفاجرٌ شقي هينٌ على الله. والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب".

فالناس رجلان كما ذكر النبي ﷺ: رجلٌ برٌ تقي حتى ولو كان عبداً أسود. رجلٌ برٌ تقي حتى ولو كان ليس له نسب. حتى ولو كان ذميم الخلقة. حتى ولو كان ما كان، إذا كان براً تقياً فهو كريمٌ على الله.

وفاجرٌ شقي حتى ولو كان من أعلى الناس نسباً. من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكنه فاجرٌ شقي أو كان من أجمل الناس صورة. أو كان من أكثر الناس مالاً فهو هينٌ على الله إذا كان تاجراً شقياً.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ فقال: "أكرمهم عند الله أتقاهم"، قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال:" فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله"، قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال:" فعن معادن العرب تسألوني؟" قالوا: نعم. قال: "فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إن فقهوا".

شرط إذا كان الرجل من خيار الناس في الجاهلية فهو من خيار الناس في الإسلام إذا تفقه في دين الله.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم. ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم". لا ينظر إلى صوركم. حسنة أو قبيحة. ولا ينظر إلى أموالكم كثيرة أو قليلة. إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم. فالتقوى كما ذكر النبي ﷺ في الحديث "التقوى ها هنا". ويشير إلى صدره ثلاثاً. فالتقوى في القلب. فإذا كان القلب مليئاً بتقوى الله سبحانه وتعالى فهو أقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

تقوى الله كذلك والأعمال، ينظر الله سبحانه وتعالى إلى الأعمال. فتقيٌ بلا عمل لا يصلح، لا بد أن تصاحب التقوى، تقوى الله سبحانه وتعالى العمل.

فلا يصلح أن يقول الإنسان أنا أتقي الله عز وجل ثم يترك العمل.

وعن أبي هريرة ﷺ أيضاً قال رسول الله ﷺ "ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه". أي يوم القيامة في الميزان، في الدرجات، في القرب من الله سبحانه وتعالى، في دخول الجنة "من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه".

وعلى المسلم، الواجب على المسلم، أن يكون ميزان قرب الناس منه ومحبته لهم تكون بحسب تقواهم، فإذا كان أتقى فهم أقرب إلى الله سبحانه وتعالى. وإذا كانوا أقرب إلى الله سبحانه وتعالى بفعل الخيرات بفعل الطاعات وترك المنكرات فلابد أن يكونوا هؤلاء أقرب إليه.

لا يكون القرب والمحبة. يعني ميزان المحبة والقرب عند المؤمن يكون بالجمال أو بالمال أو بالنسب أو بحسن المعشر دون وجود التقوى، فكل هذه في ميزان في ميزان الله سبحانه وتعالى، ليس لها شأن إلا بالتقوى.

وإذا كان ميزان الناس في المحبة والقرب هو تقوى الله سيكون ذلك سبباً في صلاح المجتمع. وإحياء القيم الإسلامية فيه وإماتة كثير من العادات والسلوك المخالفة للشرع والتي انتشرت بين أوساط المسلمين. وبسبب هذا الميزان سينتشر التواضع وخفض الجناح بين أفراد الأمة الإسلامية.

وبهذا نعود إلى الخيرية التي كنا عليها والاستعلاء على الأمم، على جميع الأمم. وبهذا أيضاً، هذا السلوك، دعوة عظيمة للأمم الأخرى التي تعيش في جحيم العنصرية والتمايز فيما بينهم.

هذه أمريكا. والتي تتكلم عن القيم وعن المبادئ وعن المساواة وعن الحرية (ووو...)، والتي للأسف الشديد هي قدوة كثير من أبناء المسلمين ممن يتكلمون بلغتنا ويعيشون بيننا، هي قدوتهم ومع ذلك العنصرية تفتك فيها.

العرق الأبيض والعرق الأسود وما إلى ذلك.

حتى العنصرية على حساب كل القيم وكل المبادئ.

فهذه أمريكا وغيرها من البلاد، ممن اليوم يكون لهم، يعني يرى الناس لهم شأن ويريدون أن يقلدونهم في كثيرٍ من من أفعالهم وأقوالهم، هذه هي أمريكا تعج

بالعنصرية والتمايز على أساس العرق واللون والمال والجاه وغير ذلك من أسباب التمايز التي لا وزن لها عند الله سبحانه وتعالى.

فنسأل الله العظيم رب العرش العظيم، أن يعيننا على التواضع فيما بيننا، وأن يجعل ميزان القرب والمحبة عندنا، تقوى الله سبحانه وتعالى.

فمن كان أقرب وأتقى إلى الله سبحانه وتعالى فهو حبيبنا وقريبنا، ومن كان فاجرًا شقيًا أو كان بعيدًا عن تقوى الله سبحانه وتعالى، أو ضعفت عنده التقوى، فهذا بحسب تقواه يكون قربه ومحبته عندنا.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدرس التاسع عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أما بعد:

نكمل تأملاتنا في سورة الحجرات. وفي هذا الدرس بإذن الله سنتأمل في قول الله سبحانه وتعالى (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**) (**الحجرات:15**)

قال ابن كثير -رحمه الله-:"وقوله (إنما المؤمنون) أي إنما المؤمنون الكمل، (الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) أي لم يشكوا ولا تزلزلوا. بل ثبتوا على حالٍ واحدة. وهي التصديق المحض (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) أي بذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه. (أولئك هم الصادقون) أي في قولهم إذا قالوا إنهم مؤمنون. لا كبعض الأعراب الذين ليس معهم من الدين إلا الكلمة الظاهرة". انتهى.

وقال السعدي -رحمه الله-:" (إنما المؤمنون) أي على الحقيقة. (الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) أي من جمعوا بين الإيمان والجهاد في سبيله. فإن من جاهد الكفار دل ذلك على الإيمان التام في

القلب. بأن من جاهد غيره على الإسلام والقيام بشرائعه فجهاده لنفسه على بابك من باب أولى وأحرى. ولأن من لم يقو على الجهاد فإن ذلك دليلٌ على ضعف إيمانه. وشرط تعالى في الإيمان عدم الريب. وهو الشك بأن الإيمان النافع هو الجزم اليقين بما أمر الله بالإيمان به الذي لا يعتريه شك بوجهٍ من الوجوه". انتهى.

فإذاً في هذه الآية جعل الله تعالى دليل الإيمان الصادق مع عدم وجود الريب فيه، بالجهاد في سبيل الله بالمال والنفس.

لماذا؟ لأن الصادق في إيمانه لا يبخل بأعز ما يملك. وهي نفسه وماله في سبيل الله. فيقدم ذلك طيبةً به نفسه. يقدم نفسه لله سبحانه وتعالى بأنه يعلم أنه عندما يقدم هذه النفس لله سبحانه وتعالى سيجزى بذلك الأجر العظيم.

(وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بالذين لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) (آل عمران).

وغير ذلك من فضائل الشهادة في سبيل الله، فضائل بذل النفس في سبيل الله، وأيضاً المال. الذين يبذلون أموالهم في سبيل الله في نصرة هذا الدين ولتمكينه لدين الله، هم بذلك قد صدقوا في إيمانهم. قد صدقوا في قولهم أنهم مؤمنون. فالإيمان قول وعمل كما هو عند أهل السنة والجماعة، قولٌ باللسان وتصديقٌ بالجنان وعملٌ بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. فعندما يأتي الامتحان والاختبار للمؤمن في نفسه وماله، فالصادق منهم يقدم ذلك ولا يتأخر، ومن أراد أن يختبر

إيمانه وهل هو صادق فيه أم كاذب، فلينظر حاله مع الجهاد في سبيل الله، وما هي منزلة الجهاد في سبيل الله في نفسه، وما هي منزلة المجاهدين كذلك، فعلى المؤمن أن ينظر ما هي منزلة الجهاد في سبيل الله بنفسه، فإن كان ممن يحب الجهاد وممن يجاهدون وممن يريدون الجهاد في سبيل الله، فهو بذلك إن شاء الله من الصادقين في دعواهم إذا زعموا الإيمان، أما الذي يتأخر عن الجهاد، أو يثبّط الناس عن الجهاد، أو لا يفتر لسانه من ذكر المجاهدين بالسوء، فهذا كيف يكون صادقا، بعد قول الله سبحانه وتعالى (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**).

وقد بيّن لنا رسول الله ﷺ أن الذي لا يجاهد ولا يحدّث نفسه بالجهاد في سبيل الله، أنه بذلك قد وقع في شعبة من شعب المنافقين، فقال عليه الصلاة والسلام: "من مات ولم يغزو ولم يحدّث به نفسه، مات على شعبة من النفاق". والعياذ بالله.

لماذا؟ لأن النفاق ضد الصدق، الصادق ضد المنافق، فلذلك الاختبار العملي لصدق الإيمان، هو بالجهاد في سبيل الله بالمال والنفس وبمنزلة هذا الجهاد في نفس الإنسان.

ولأننا مأمورون بأن نكون مع الصادقين، وخُلّص أهل الصدق من المؤمنين هم المجاهدون في سبيل الله، لذلك أمرنا سبحانه وتعالى أن نكون مع الصادقين.

قال سبحانه وتعالى بعد ذكره لتوبته على من تخلف عن الجهاد في سبيل الله، الثلاثة الذين تخلفوا، مرار بن الربيع، وهلال بن أمية، وكعب بن مالك، رضي الله عنهم،

عندما تخلفوا عن غزوة تبوك، ولم يتخلفوا عن غزوة سواها، بعضهم يعني ما تخلف عن غزوة سواها، إلا غزوة بدر كما قال كعب بن مالك، ﵁، ولم ينكر النبي ﷺ على من تخلف عن غزوة بدر، لأنه إنما خرج عليه الصلاة والسلام للعير، الشاهد أن الله سبحانه وتعالى، بعد ذكر توبته على من تخلف عن الجهاد، أمرنا بأن نكون مع الصادقين، قال تعالى **(وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة)**.

والآية في سورة الحجرات تبين لنا من هم الصادقون **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)**.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلنا من الصادقين في أقوالنا وفي أفعالنا وفي إيماننا وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدرس العشرين

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى وعلى آله صحبه وسلم ومن اهتدى.

نكمل تأملاتنا في سورة الحجرات. وفي درسنا هذا سنتأمل في قول الله سبحانه وتعالى (**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) (**الحجرات:17**)، قال الطبري -رحمه الله-:" يقول تعالى ذكره لنبيه مُحَمَّد ﷺ: يمن عليك هؤلاء الأعراب يا مُحَمَّد أن أسلموا. (قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) يقول بل الله يمن عليكم أيها القوم أن وفقكم للإيمان به وبرسوله. (إن كنتم صادقين) يقول إن كنتم صادقين في قولكم آمنا فإن الله هو الذي منّ عليكم بأن هداكم له. فلا تمنوا علي بإسلامكم". انتهى.

وقال ابن كثير -رحمه الله-:"قال تعالى (يمنون عليك أن أسلموا) يعني الأعراب الذين يمنون بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم. على الرسول ﷺ. يقول الله تعالى راداً عليهم (قل لا تمنوا علي إسلامكم). فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم. أو لله المنة عليكم فيه. بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين في دعواكم". انتهى.

في هذه الآية إنكارٌ على الذين يمنون بإسلامهم وطاعتهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. لماذا؟ لأنهم يمنون بشيءٍ ليس من عندهم. ليس لهم فضلٌ إلا بفضل الله سبحانه وتعالى. هو الذي منّ عليهم بالهداية للإيمان. فلا ينبغي أن يمنوا بشيءٍ قد منّه الله سبحانه وتعالى عليهم. ولا ينبغي للمسلم يعني قياساً على ذلك، لا ينبغي للمسلم إذا وفق للهداية ولطاعة الله بأي نوعٍ من أنواع الطاعات والعبادات أن يمنّ على الله بطاعته تلك. لأنه لم يفعل ذلك إلا بتوفيق الله وعونه.

فلا ينبغي للمسلم إذا وفق لأي طاعةٍ من الطاعات أن يقول أنا والله أفعل كذا وأنا أقوم بكذا وأنا فعلت كذا وأنا لي في هذه الطاعة وفي هذا الجهاد أو أنا لي زمنٌ طويل، لا ينبغي له أن يقول ذلك فإنه بذلك يمن على من؟ على من أنعم عليه بهذه الطاعة. هو الله سبحانه وتعالى. وبما أن الله هو الذي يوفق العبد ويعينه على الطاعة والعبادة فالواجب عليه أن لا يرى لنفسه على إخوانه المسلمين فضل ويستعلي عليهم بأمر لولا فضل الله وحده لما استطاع أن يقوم به. وعليه أن يتواضع لله ويحمد الله على فضله ومنته عليه، وقد حدث ذلك في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. من أحدٍ من الصحابة هو سعد بن أبي وقاص ﵁، عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال رأى سعد بن أبي وقاص أن له فضلًا على من دونه (يعني من المؤمنين) فقال النبي ﷺ : "هل تنصرون و ترزقون إلا بضعافكم؟". وذكر النسائي زيادة في حديث سعد يبيّن بها معناه فقال فيه:"هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم بصومهم وصلاتهم ودعائهم".

فنحن لابد إذا وفقنا لطاعة الله سبحانه وتعالى للجهاد في سبيل الله، للدعوة إلى الله، للعلم الشرعي، لأي طاعة كانت، لابد أن لا نرى لأنفسنا فضلا على إخواننا المسلمين بل نتواضع لهم ونخفض لهم جناح الذل وأن ندعوهم لما وُفقنا له، فبذلك بإذن الله تعالى نكون قد شكرنا نعمة الله.

قال المهلّب: "إنما أراد ﷺ بهذا القول لسعد الحض على التواضع، ونفي الكبر والزهو على قلوب المؤمنين". انتهى.

فمن كان مجاهدًا أو له باع في العلم والدعوة إلى الله، ومن مر عليه زمن طويل في هذه الطاعات، فعليه أن يشكر الله على منته عليه بذلك، ولا يكون ذلك مدعاة له، للمنة على غيره، بقدمه وسبقه لهذه الطاعات، وألا يذكر ذلك في كل مجلس على سبيل التعريف بنفسه وبأعماله ويبيّن لمن أتى من بعده، أن اعرف لي فضلي، واعطني قدري، يعني يقول بكلامه هذا: أنا فعلت وقلت وصار مني، ولي في هذا المجال كذا وكذا سنة أن يقم بالتعريف بنفسه ويقول لمن هو من بعده قد جاء في هذه القاعة: اعرف لي قدري، واعرف لي فضلي وأعطني مكانتي، فهذا لا ينبغي، وعلى مثل هذا أن يراجع نفسه، وليخشى على أعماله من تجرد الإخلاص منها، ولينتبه أن يكون نصيبه من تلك الطاعات ذكر الناس عنه وحديثهم عنه وإعطائه ما يريد من ذكرهم لهذه الطاعات من الاحترام والتصدير في المجالس فقط.

يعني يكون هذا جزاؤه من هذه الطاعات.

أما الإخلاص الذي هو شرط في قبول العمل الصالح قد تجرد من هذه الأعمال والعياذ بالله.

وليكن دوما قول رسول الله ﷺ في أذهاننا ونصب أعيننا، حتى نجدد النيات ونخلص الطويات لله تعالى حيث قال وهذا حديث عظيم، كان أبو هريرة رضي الله عنه عندما يحدث به يجثو على ركبتيه من عظم ما فيه، قال عليه الصلاة والسلام :"أول الناس يقضى فيهم: رجل استشهد فأوتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال فلان جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب حتى ألقي في النار، ورجل تعلم القرآن وعلمه وقرأ القرآن، فأوتي به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت فيك وعلمت، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال هو عالم، فقد قيل، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من المال أنواعا، فأوتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: ما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها، قال: كذبت، ولكنك فعلت لليقال هو جواد، وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى يلقي في النار والعياذ بالله.

يعني هذه أجل الأعمال في الإسلام بعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فيدخل الرياء وحب الذكر في نفس الإنسان، فهذه الأعمال الجليلة، لا يصبح لها أثرًا في جزاء الإنسان، وأيضا عن أبي موسى رضي الله عنه قال:جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليذكر والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل

الله؟ قال:"من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"، وقد يقول قائل، نعم أنا أحب الذكر ولكنني أريد أن تكون كلمة الله هي العليا، لا، لابد أن يكون في نيتك أول ما يكون، أن تكون كلمة الله هي العليا، وأما الذكر فلا، إن ذكرت أو لم تذكر، إن رؤي مكانك أو لم يُرى، إن أخذت مغنما أو لم تأخذ، ما دمت تريد أن تكون كلمة الله هي العليا فأنت في سبيل الله، وبهذه النية تكون قد أخلصت العمل لله سبحانه وتعالى، ويُرجى بذلك أن يقبل عملك، وقد رأينا والله من الإخوة والمشايخ، من له باع طويل في الجهاد والنصرة، والعلم والدعوة والبذل والعطاء، ولا يُعرف عنه ذلك، إلا أن يعرفه لنا أحد يعرفه من قبل، وإلا تجده يجلس في المجلس، كمن جاء بالأمس، وهو له سنوات طوال، وفي مجلسه كمن جاء بالأمس، وهذا من تواضعه، وكان النبي ﷺ إذا دخل مجلسًا، جلس حيث انتهى به المجلس، ولا يحب أن يقوم له أحد من مجلسه ليجلس هو، وكان يكره ذلك، كان يكره المدح في وجهه، وهو رسول الله ﷺ وهو أولى الناس بالمدح، هو من كان سببًا في هداية الناس، هو من بعث رحمة للناس، ومع ذلك كان يكره أن يصدره الناس، وهكذا هو رسول الله ﷺ، وهؤلاء الذين لا يُعرف عنهم إلا أن يعرف به أحد أو أن يتكلم عن نفسه في ذلك على سبيل الفائدة، أو التحديث بنعمة الله سبحانه وتعالى عليه أو تأتي المناسبة لذلك، فيتحدث لذلك فقط للمناسبة، ولكنه مع ذلك رأيناهم يكرهون التصدر، ومبالغة الناس في احترامهم وتقديمهم وتقديرهم ولكنه يحب أن يكون كعامة الناس.

هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ عندما يُثنى على الرجل في وجهه فينكر ذلك، فيقول إنما أنا رجل من المسلمين.

وقـد رأينـا العكـس في ذلـك، بعـض النـاس يأتي يكـون لـه في العمـل هـذا سـنة أو سـنتين، في أي عمـل، في الـدعوة أو في الجهـاد أو في العلـم أو في أي طاعـة مـن الطاعـات، فتجـده يجلس كنـا وفعلنـا وصـار منـا ووو... فقـط ليعـرف النـاس مـن هـو ! فـإذا يومًـا مـثلًا أحـس بأن النـاس لا تعطيـه مـا يريـد فيـأتي، نحـن ونحـن ونحـن، لا، لا ينبغـي ذلـك المفـترض أن يخفـي الإنسـان عملـه وإذاظهـر أو أظهـره يكـون لـنفس الغـرض، لتكـون كلمـة الله هـي العليـا ليسـود الإسـلام في أوسـاط النـاس، لتسـود الـدعوة الإسـلامية في كـل المجتمعـات، يكـون هـذا الغـرض مـن تحديثـه بمـا كـان منـه مـن طاعة.

نسـأل الله العظـيم رب العـرش العظـيم أن يخلـص نياتنـا وأن يصـلح طوياتنـا وأن يجعلنـا مـن أهـل الله ومـن أهـل الطاعـات الـذين لا يحبـون أن يـذكروا أو يكـون ذلـك سـببًا في تصـديرهم واحـترامهم فقـط، ونسـأل الله العظـيم أن يجعـل أعمالنـا خالصـة لوجهـه الكـريم وأن ينفعنـا بمـا علمنـا وأن يوفقنـا للعمـل بمـا علمنـا، إنـه علـى ذلـك قـدير وبالإجابـة جـدير، وآخـر دعـوانا أن الحمـد لله رب العـالمين، وبهـذا نكـون قـد انتهينـا مـن تأملاتنـا في سـورتي النـور والحجـرات. نسـأل لله أن ينفـع بمـا قلنـا والحمـد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهرس


بيت المقدس